حولية كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة
مجلة علمية محكمة

موقف الصحابة رضي الله عنهم من الإسرائيليات والقصاص وتفسير متشابه القرآن

تأليف

الأستاذ الدكتور/ أحمد سلامة أبو الفتوح صالح

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين بالمنصورة

ووكيل الكلية للدراسات العليا والبحوث

ملخص البحث باللغة العربية:

موقف الصحابة ﷺ من الإسرائيليات والقصاص وتفسير متشابه القرآن

أحمد سلامة أبو الفتوح صالح

قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين، جامعة الأزهر، المنصورة، مصر.

البريد الإلكتروني: Ahmedsaleh.el.8.82@azhar.edu.eg

الملخص:

لصحبة النبي ﷺ منزلة عظمى، ولتفسيرهم مكانة، ولقولهم قبول، لما اختصوا به من قوة الإيمان، وحسن الفهم، ولأنهم شاهدوا التنزيل، ثم هم أهل اللسان الذى نزل به القرآن، وإذا أشكل عليهم معنى سألوا عنه النبي ﷺ فبينه لهم بقيله، أو عرفوا معناه من فعله، وكانوا يجتهدون آرائهم في استنباط معانى بعض الآيات. ولذا أردت أن أسلط الضوء على موقفهم من الإسرائيليات والقصاص وتفسير متشابه القرآن، فذهبت أجمع الموضوع من أطرافه، ونظمته في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، كالتالي: المقدمة: تناولت أهمية الموضوع، وخطة الدراسة فيه. وفي التمهيد: تعريف الصحابي. ومن اشتهر بالتفسير من الصحابة. ودوافع التفسير عند الصحابة. والمبحث الأول: موقف الصحابة من الإسرائيليات. والثاني: موقفهم من القصاص. والثالث: موقفهم من تفسير متشابه القرآن.

وكان أهم ما هدفت إليه هذه الدراسة:

١) كان الصحابة في رجوعهم إلى أهل الكتاب يسيرون على المنهج القويم الذى رسمه لهم النبي ﷺ فلم يكن سؤالهم لمن أسلم منهم عن كل شيء، ولم يكونوا يصدقونهم في كل شيء، بل كانوا يسألون عن أشياء لا تعدو أن تكون بيانًا لما أجمل في قصة، فإن ألقوا إليهم بشيء تفرسوه، فما كان وفق شرعنا صدقوه، وما كان على خلافه كذبوه، وما كان مسكوتًا عنه توقفوا فيه، كذلك لم يسألهم الصحابة عن شيء يتعلق بالعقيدة أو الأحكام، كما أنهم لم يسألوا عن الأشياء التي يشبه

أن يكون السؤال عنها نوعاً من العبث.

٢) اشتد إنكارهم على القصاص الذين ضعف التأصيل العلمي عندهم، أنكروا عليهم بالقول، ومنعوهم من المساجد، وما ذلك إلا لاشتمال مجالسهم على بعض البدع، أما القصص بمعناه العام حين ينضبط بضوابطه، فلا وجه للقول بمنعه، بل قام به بعضهم.

٣) سلك الصحابة مسالك شتى مع متبعي الآيات المتشابهة، وذلك للخطر المترتب على اتباع المتشابه، فشنعوا عليهم، وبينوا قبح مسلكهم، بل أحياناً وصل الحال إلى العقاب، كما أنهم حثوا على الإيمان بالمتشابه، والإمساك عن الكلام فيه، ثم قاموا بتفسير الآيات المتشابهة، وجمعوا بينها وبين الآيات التي يتوهم معارضتها لها، ولكن ينبغي أن يعلم أنهم تكلموا في الآيات المتشابهة التي يتفاوت الناس في إدراكها، أما المتشابه الذى استأثر الله بعلمه فلم يتكلموا فيه، إذ ليس لهم الحق في تفسيره.

الكلمات المفتاحية: الصحابة، الإسرائيليات، القُصاص، متشابه القرآن.

ملخص البحث باللغة الإنجليزية:

The position of the Companions of the Prophet, may Allah be pleased with them, regarding the Isra'iliyat, the narratives, and the interpretation of the ambiguous verses of the Quran.

Ahmed Salama Abu Al-Fotouh Saleh
Department of Interpretation and Quranic Sciences, Faculty of Usul al-Din, Al-Azhar University, Mansoura, Egypt.
Email: Ahmedsaleh.el.8.82@azhar.edu.eg

Abstract: The companionship of the Prophet, peace be upon him, holds a great status, and their interpretations have significance, and their statements are accepted due to their strong faith and good understanding, as they witnessed the revelation. They are also the people of the language in which the Quran was revealed. If a meaning was unclear to them, they would ask the Prophet, peace be upon him, who would clarify it for them through his words or they would understand its meaning from his actions. They would also exert their opinions in deriving meanings from some verses. Therefore, I wanted to shed light on their position regarding the Isra'iliyat, the narratives, and the interpretation of the ambiguous verses of the Quran. I gathered the topic from its various aspects and organized it into an introduction, a preamble, three sections, and a conclusion, as follows: The introduction: addressed the importance of the topic and the study plan. In the preamble: the definition of a Companion. Those among the Companions who are well-known for their interpretations. The motivations for interpretation among the Companions. The first section: the position of the Companions regarding the Isra'iliyat. The second: their position regarding the narratives. The third: their position regarding the interpretation of the ambiguous verses of the Quran. The most important aim of this study was:

1) The companions, upon their return to the People of the Book,

adhered to the correct methodology that the Prophet had outlined for them. They did not inquire of those among them who had converted about everything, nor did they believe them in all matters. Rather, they asked about things that were merely clarifications of what was summarized in a narrative. If they were presented with something, they would scrutinize it; what aligned with our law they accepted, and what contradicted it they rejected, while they refrained from commenting on what was left unaddressed. Similarly, the companions did not ask them about anything related to beliefs or rulings, nor did they inquire about matters that seemed to be trivial in nature .

2) Their denial was particularly strong against the narrators whose scientific foundation was weak; they reproached them verbally and prohibited them from the mosques, and this was solely due to the presence of some innovations in their gatherings. However, when storytelling is understood in its general sense and adheres to its guidelines, there is no justification for prohibiting it, and indeed, some of them engaged in it.

3) The companions took various paths with those who followed the ambiguous verses, due to the danger resulting from following the ambiguous. They criticized them and clarified the ugliness of their path, and at times the situation escalated to punishment. They also encouraged belief in the ambiguous and refraining from discussing it. Then they interpreted the ambiguous verses and reconciled them with the verses that seemed to oppose them. However, it should be noted that they spoke about the ambiguous verses that people differ in understanding, while the ambiguous that only God has knowledge of was not discussed by them, as they do not have the right to interpret it.

Keywords: Companions, Israiliyyat, storytellers, ambiguous Quran.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وبعد:

فقد نزل القرآن الكريم دستوراً سماوياً شاملاً، ختم به الحق سبحانه رسالاته إلى خلقه، وضمن له البقاء، وحال بينه وبين عوامل الفناء، وأعلن ذلك بقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر/٩] .

أنزل في أمة أمية، أسفارها صدور أبنائها، وتراثها ما تجود به قرائحهم من ضروب البيان وفنونه، فكان معجزاً في بيانه وإتقانه، أذهل بفصاحته البلغاء، وأعجز ببلاغته قرائح الأدباء.

وقد كان النبي ﷺ حريصاً كل الحرص على توضيح ما في هذا الكتاب من أحكام وشرائع وعظات وعبر، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل/٤٤]، وقوله: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل/٦٤] .

وحرص الصحابة رضوان الله عليهم بالمثل على تلقى ما ينطق به ﷺ وحفظه، فلم يكن قوله من عند نفسه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى. إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم/٣، ٤]، وإذا كان الكتاب الكريم هو المصدر الأول للتشريع، فإن السنة النبوية الشريفة هي المصدر الثاني، فهي المفصلة لما أجمله القرآن، المبينة لما أبهمه، المقيدة لما أطلقه.

وعلى الرغم من أن الصحابة كانوا أقرب عهداً لنزول الآيات وأحكامها، وأحفظ لما تحويه لغة العرب – في ذلك الوقت – من ألفاظ وعبارات ومعان، فقد كانوا – رضوان الله عليهم – يرجعون للنبي ﷺ ليفسر لهم ما يتوقفون فيه، وما يشكل عليهم فهمه من الآيات، كما كان ﷺ يبادر من نفسه فيبين لهم ما تحويه الآيات من أحكام وعظات.

وليس باستطاعة كل ناطق بالعربية أن يحيط بها، ولا يستطيع أن يفسر كتاب الله وما فيه

من دقائق ومسائل لا تتيسر معرفتها إلا لأولى العلم: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آَمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلا أُولُو الأَلْبَابِ﴾ [آل عمران/ ٧] . بهذه الآية صُرِّح لأولى العلم بالدين وأصوله أن يفسروا آيات الذكر الحكيم، وأولى الناس بذلك الصحابة الذين عايشوا نزوله آية آية، وأدركوا ما فيه من بيان، وعرفوا ما تحويه لغة العرب من أساليب.

فلصحبة النبي ﷺ منزلة عظمى ومكانة كبرى في الإسلام، وشرف لا يخفي بين المسلمين، فكان لتفسيرهم للقرآن الكريم مكانة، ولقولهم قبول وحجة، لما اختصوا به من قوة الإيمان، وحسن الفهم، وسلامة القصد، ولأنهم شاهدوا التنزيل، وعرفوا أحوال من نزل فيهم القرآن الكريم، فأدركوا أسباب نزوله ومناسباته، ثم هم أهل اللسان الذى نزل به القرآن، لكل ذلك وغيره كانوا أحرى بالفهم من غيرهم، وإذا أشكل عليهم معنى سألوا عنه رسول الله ﷺ فبينه لهم بقيله، أو عرفوا معناه من فعله، فسنته عليه الصلاة والسلام وسيرته هي البيان، وكانوا رضى الله عنهم يجتهدون آرائهم في استنباط دلالات ومعانى بعض الآيات. وقد اشتهر بالتفسير من الصحابة قوم، منهم من أقل ومن أكثر، كل حسب الظروف التي أحاطت به.

وحين اقتنعت بفكرة الحديث عن موقف الصحابة من الإسرائيليات والقصاص وتفسير متشابه القرآن الكريم، حيث كانت مدرسة الصحابة في التفسير هي المدرسة الأولى التي تخرجت على الرسول ﷺ واستمدت منهجها وسلوكها منه.

هي المدرسة الأولى من حيث المكانة والتقدم والأصالة، وشهد لهم الرسول ﷺ بالخير والفضل، وتوفرت لهم أمور لم تتوفر لغيرهم ممن أتى بعدهم.

من أجل ذلك ذهبت أجمع الموضوع من أطرافه، حتى يخرج للنور وافيًا متقنًا حسب طاقتي الضعيفة.

وحتى ينهض البحث بالمهمة التي أُنيطت به، ويحقق الهدف الذى يصبو إليه، فقد قسمت

الموضوع إلى مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، على النحو التالي:

أما المقدمة: فقد تحدثت فيها عن أهمية الموضوع، وخطة الدراسة فيه.

والتمهيد: تناولت فيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: تعريف الصحابي .

المسألة الثانية: من اشتهر بالتفسير من الصحابة .

المسألة الثالثة: دوافع التفسير عند الصحابة .

المبحث الأول: موقف الصحابة من الإسرائيليات.

المبحث الثاني: موقف الصحابة من القصاص.

المبحث الثالث: موقف الصحابة من تفسير متشابه القرآن.

ثم الخاتمة: أسأل الله تعالى حسنها، وقد ضمنتها النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث، والقضايا التي عالجتها في هذه الدراسة.

وإنني إذ أقدم هذا البحث، فإني أسأل الله العلى القدير أن ينفع به، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يكتب لي منزلاً عنده، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

بقلم الدكتور

أحمد سلامة أبو الفتوح صالح

التمهيد

ويشتمل على ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: تعريف الصحابي.

لفظ الصحابي من حيث الوضع اللغوي مشتق من الصحبة(١)، والمراد صحبة النبي ﷺ، وهناك مسائل عديدة متعلقة بمن يصح إطلاق اسم الصحابي عليه، وقد أكثر العلماء الحديث عنها، مثل: صحة إطلاقه على من رأى النبي ﷺ وهو دون التمييز، أو: رآه حال كفره ثم أسلم بعد وفاته، أو: رآه بعد وفاته، ومثل: دخول الملائكة والجن في مسمى الصحابة(٢).

غير أن القضية التي اهتم بها العلماء، هي المقدار الزمنى للصحبة ليصح إطلاق اسم الصحابي على من رأى النبي ﷺ، فمذهب جمهور العلماء الاكتفاء بالقدر اليسير من الصحبة، وعدم اشتراط طولها. يقول ابن كثير: (الصحابي من رأى رسول الله ﷺ في حال إسلام الراوي، وإن لم تطل صحبته له، وإن لم يرو عنه شيئاً، وهذا قول جمهور العلماء خلفاً وسلفاً)(٣).

والتعبير بالرؤية قد يفهم منه إخراج من لا يستطيع رؤية النبي ﷺ كالأعمى، لذا عبر بعض العلماء عن الرؤية باللقاء، فعرَّف الصحابي بأنه من لقى النبي ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام(٤).

وذهب بعض الأصوليين إلى اشتراط طول الصحبة لصحة إطلاق اسم الصحابي على من رأى النبي ﷺ، فمجرد اللقاء ليس كافياً في نظرهم وإن كان صحيحاً من حيث الاستعمال

---

(١) انظر: القاموس المحيط، مادة (صحب).

(٢) انظر في هذه القضايا: الإصابة في تمييز الصحابة ١ /٧، وفتح المغيث ٤ /٧٨.

(٣) الباعث الحثيث صـ١٥١، وانظر: فتح الباري ٧ /٤.

(٤) انظر: نزهة النظر لابن حجر صـ١٢٧، ١٢٨.

اللغوي، فيطلق على من صحب شخصاً ولو ساعة، ويضيف هؤلاء أن العرف قيد الوضع اللغوي، فلا يطلق اسم الصحابي إلا على من كثرت صحبته للنبي ﷺ واختص به اختصاص الصاحب بالمصحوب لا على من لقيه ساعة[١].

والمذهب الأول هو الراجح، وعليه العمل عند المحدثين والأصوليين[٢]، واستدل ابن كثير لرجحانه بقول النبي ﷺ: (يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، يَغْزُو فِئَامٌ مِنْ النَّاسِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: فِيكُمْ مَنْ رَأَى رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ، ثُمَّ يَغْزُو فِئَامٌ مِنْ النَّاسِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: فِيكُمْ مَنْ رَأَى مَنْ صَحِبَ رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ ، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ، ثُمَّ يَغْزُو فِئَامٌ مِنْ النَّاسِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ رَأَى مَنْ صَحِبَ مَنْ صَحِبَ رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ)[٣].

فدل الحديث على (أن مجرد الرؤية كاف في إطلاق الصحبة، لشرف رسول الله ﷺ وجلالة قدره وقدر من رآه من المسلمين)[٤].

---

(١) انظر: الإحكام في أصول الأحكام للآمدي، ٢/٩٢، ومفردات ألفاظ القرآن، مادة (صحب) .

(٢) انظر: فتح الباري ٧/ ٣، وفتح المغيث للسخاوى ٤/ ٨٦.

(٣) أخرجه عن أبى سعيد الخدري ﷺ بهذا اللفظ مسلم في كتاب فضائل الصحابة ٤/١٩٦٢، (٢٥٣٢)، وأخرجه البخاري بلفظ: (فِيكُمْ مَنْ صَحِبَ رَسُولَ اللهِ ﷺ) في عدة مواضع، بوب على أحدها بقوله: باب فضائل أصحاب النبي ﷺ، ومن صحب النبي ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه. صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ٤/١٨٨. وأخرج ابن أبى شيبة في المصنف ١٢/١٧٨ عن واثلة بن الأسقع عن النبي ﷺ قال: (لا تزالون بخير ما دام فيكم من رآني وصاحبني، والله لا تزالون بخير ما دام فيكم من رأى من رآني، وصاحب من صاحبني) . قال ابن حجر في فتح الباري ٧/٥: (إسناده حسن)، وانظر: مجمع الزوائد ١٠/٢٠.

(٤) انظر: الباعث الحثيث صـ١٥٣ .

وأما ما ذكره أصحاب الرأي الثاني من اشتراط طول الصحبة فله تأثير في الفضل، فإن الصحابة متفاوتون في الفضيلة بحسب قربهم من النبي ﷺ وملازمتهم له وتقدم إسلامهم، ونحو ذلك. وقد اتفق العلماء على أن من ثبتت صحبته للنبي ﷺ فقد ثبتت عدالته وثقته، وليس بحاجة إلى تعديل أحد(١).

المسألة الثانية: من اشتهر بالتفسير من الصحابة.

من المعلوم أن تفسير القرآن الكريم بأقوال الصحابة يأتي في الدرجة الثالثة من الطرق الصحيحة لتفسير القرآن، ذلك أننا إذا لم نجد في القرآن الكريم ولا في السنة التي ثبتت عن رسول الله ﷺ شيئًا يفسر القرآن، رجعنا إلى ما صح عن الصحابة، فهم الذين لازموا رسول الله ﷺ وعاشروه وتربوا في أحضان النبوة، ونهلوا من مناهلها، وهم أعلم الناس بكتاب الله تعالى، لأن النبي ﷺ بين لهم معانى القرآن كما بين لهم ألفاظه.

وقد عد السيوطي من اشتهر بالتفسير من الصحابة فقال: (اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة: الخلفاء الأربعة، وابن مسعود (ت٣٢هـ)، وابن عباس (ت٦٨هـ)، وأبيّ بن كعب (ت٣٢هـ)، وزيد بن ثابت (ت٤٥هـ)، وأبو موسى الأشعري (ت٥٠هـ)، وعبد الله بن الزبير (ت٧٣هـ) . أما الخلفاء فأكثر من روى عنه منهم عليّ بن أبي طالب (ت٤٠هـ) .(٢)

---

(١) انظر: الإصابة لابن حجر ١٠/١، ومقدمة ابن الصلاح صـ٤٩٠.

(٢) ويرجع ذلك إلى أنه عاش بعدهم حتى كثرت حاجة الناس في زمانه إلى من يفسر لهم القرآن، وذلك من اتساع رقعة الإسلام، ودخول عجم في هذا الدين الجديد، كادت تذوب بهم خصائص العربية، ونشأ جيل من أبناء الصحابة كان في حاجة إلى علم الصحابة، فلا جرم كان ما نقل عنه أكثر مما نقل عن غيره، أضف إلى ذلك ما امتاز به الإمام من خصوبة الفكر وغزارة العلم، ثم أضف أيضا سبق اشتغالهم بمهام الخلافة، وتصريف الحكم دونه. [انظر: مناهل العرفان ٢/ ١٤، ١٥] . وهو القائل: (سلوني، فو الله =

والرواية عن الثلاثة قليلة جداً، وكان السبب في ذلك تقدم وفاتهم)[1].

وأما الستة الباقون من العشرة فيأتي حبر الأمة ابن عباس في مقدمتهم في كثرة الرواية عنه، فقلما تجد آية من القرآن إلا وقد أثر عنه فيها قول وإن لم يكن قد عاصر النبي ﷺ في شبابه، حيث توفي النبي ﷺ وهو ابن ثلاث عشرة سنة، لكنه لازم صحابته وأخذ عنهم، وقد دعا له رسول الله ﷺ فقال: (اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ)[2].

بيد أنه مما يجدر الإشارة إليه: أنه يجب الحيطة والتثبت فيما عزى إلى ابن عباس، فقد كثر عليه الوضع، ولعل السر في ذلك: (أنه كان من بيت النبوة، والوضع عليه يُكسب الموضوع ثقة أكثر مما لو وُضِع على غيره، أضف لذلك: أن ابن عباس كان من نسله الخلفاء العباسيون، وكان من الناس مَن يتزلف إليهم بما يروونه لهم عن جدهم)[3].

ثم يأتي بعد ابن عباس عبد الله بن مسعود في كثرة المروى عنه، وكان شديد الثقة بنفسه، يتحدث عن ذلك كثيراً إظهاراً لنعمة الله عليه، فهو القائل: (والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت، وأين نزلت، ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تناله

=

لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم، وسلوني عن كتاب الله، فو الله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار، أفي سهل أم في جبل) [الإتقان في علوم القرآن ٢/٢٣٩]، ولكن ابتلي أمير المؤمنين علي ﷺ بشيعة أسرفوا في حبه، وجاوزوا الحد في تقديره، فنسبوا إليه ما هو منه بريء، وقولوه ما لم يقل، وتصدى له صيارفة النقد من رجال الرواية حتى بينوا ما صح مما لم يصح. [انظر: مناهل العرفان ٢/١٩].

(١) انظر: الإتقان للسيوطي ٢ / ١٨٧، ومقدمة في أصول التفسير صـ٩٥.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١ / ٢٦٦، ٣١٤، ٣٢٨، ٣٣٥، وصححه الأرنؤوط.

(٣) انظر: التفسير والمفسرون، د / الذهبي ١ / ٨٢، ٨٣ .

المطايا لأتيته)[1]. ولذا يعد العلماء ابن مسعود أكثر من روى عنه من الصحابة في التفسير بعد ابن عباس، قال السيوطي: (وأما ابن مسعود فروى عنه أكثر مما روى عن عليّ)[2]. وإن من يطالع كتب التفسير يجدها ناطقة بغزارة علم ابن مسعود بتفسير القرآن الكريم.

وكثرت الرواية عن أبى بن كعب وإن كان أقل من ابن عباس وابن مسعود، فقد روى أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبى العالية عن أُبَيّ بن كعب نسخة كبيرة في التفسير، أخرج ابن جرير وابن أبى حاتم منها كثيراً، وأحمد في مسنده، والحاكم في مستدركه. وأما باقي العشرة فهم وإن اشتهروا بالتفسير إلا أنه قلت الرواية عنهم، ولم يصلوا في التفسير إلى ما وصل إليه من سبق .

وقد ورد عن جماعة من الصحابة غير هؤلاء اليسير من التفسير كأنس بن مالك (ت٩٢هـ)، وأبي هريرة (ت٥٩هـ)، وعبد الله بن عمر (ت٧٣هـ)، وجابر بن عبد الله (ت٧٨هـ)، وأم المؤمنين عائشة بنت أبى بكر (ت٥٨ هـ)، وورد عن عبد الله بن عمرو بن العاص (ت٦٥هـ) أشياء تتعلق بالقصص وأخبار الفتن والآخرة وما أشبهها.

المسألة الثالثة: دوافع التفسير عند الصحابة.

كان من منهج الصحابة في عهد الشيخين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما أنهم يكتفون بالمعنى الإجمالي وما يفيده السياق في الأمور التي لا يتعلق بها حكم تكليفي محدد، فمثلاً القسم بالمرسلات وما بعدها من العاصفات والناشرات، يفهمون أنها أشياء عظيمة يقسم الله بها على أمر مهم وهو البعث، لا يهمهم المراد بالعاصفات تحديداً، كما عنى بها من بعدهم،

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن ٢ / ٢٣٩.

(٢) المصدر السابق.

فكان الصحابة لا يخوضون في بيان المراد تحديداً، بل يرون أن ذلك تكلفا لا يصح الاشتغال به، ما دام المعنى الكلى مفهومًا، وليس هناك ما يوجب فهم المراد بالمفردات تفصيلاً.

فليس بلازم للصحابي أن يحيط علمًا بكل المعاني الدقيقة لألفاظ القرآن الكريم، وليس هذا ماسًا بهم، لأنهم كانت لهم شواغلهم وأعمالهم، وكانوا يفهمون من القرآن ما يتصل بالعقائد من الألفاظ الظاهرة المحكمة، وما يتصل بالتكاليف، فهذا أمر ضروري، ويفهمون مما عدا ذلك قليلاً كان أو كثيراً، كل على قدر استعداده ووقته فهما إجماليًا، علمًا بأن القرآن عربي وهم عرب، وأقدر الناس على فهمه، لكن هذا لا يمنع أن تكون هناك ألفاظًا لها معان خفيت على بعضهم، أو لها مراد لم تصل إليه عقولهم، لأنها تتحدث عن أمور لم يألفوها، ولم يسألوا عنها تحاشيًا من الوقوع في التكلف الذى نهوا عنه، أو الاشتباه فيهم.

ولو أن الإسلام ظل قاصراً على هذه البيئة لكان من الممكن أن يظل هذا المنهج سائداً ومسيطراً على الناس مدة طويلة، ولكن ذلك لم يكن، فقد اتسعت رقعة الإسلام ودخله أناس يحملون ثقافات مختلفة، واختلطوا بالصحابة في المدينة، أو ذهب الصحابة إلى بلادهم، ولم يكونوا جميعًا عربًا يفهمون العربية والقرآن بسليقتهم، فاحتاجوا إلى بيان معناه، ولم يكونوا ملتزمين بالنهج الذى سار عليه الصحابة مع رسول الله ﷺ إزاء القرآن، وكان من الضروري الإجابة عما يسألون أو يثيرون من شبهات .

وكان من هؤلاء جماعة ماضيهم لا زال يشدهم إليه، فلم يكونوا مخلصين للدين الجديد، فأخذوا يثيرون الشكوك في طريق المسلمين حول القرآن والإسلام.

وكان بجوار هؤلاء جيل جديد، كانوا أكثر تطلعًا من الجيل السابق عليهم، وأكثر تطلبًا لفهم ما يغلق عليهم فهمه من القرآن الكريم .

كما أن الأحداث العنيفة التي أثارها النزاع حول الحكم في وقت مبكر بعد وفاة الرسول ﷺ قد شغلت المسلمين بها، وأوجدت عند كل فريق رغبة في التماس الحجة له من القرآن. وهنا

نشط الصحابة لسد هذه الثغرات، وإزالة الشبهات، وإرضاء هذه التطلعات عن طريق تفسير القرآن الكريم تفسيراً صحيحاً يناسب الواقع والمتغيرات.

المبحث الأول: موقف الصحابة من الإسرائيليات.

مما لا ريب فيه أن صحابة رسول الله ﷺ كانوا أحرص الناس على امتثال أوامر وتوجيهات النبي ﷺ.

ولا ريب أيضًا: أن نفراً منهم كانوا يرجعون إلى بعض من أسلم من علماء أهل الكتاب يأخذون عنهم بعض ما عندهم من جزئيات الحوادث التي عرضت لها كتبهم بتفصيل، وعرض لها القرآن الكريم بإجمال.

فقد أشار القرآن الكريم إشارات مجملة إلى كثير من تاريخ الأمم السالفة التي نزل بها العذاب على ما اجترحت من الآثام، وإلى بدء الخلق وتكوين الأرض والسماء، ولم يكن لدى العرب من المعرفة ما يتمكنون به من شرح هذه المجملات التي أشار إليها القرآن، إذ كانوا أمة أمية في صحراء بعيدة عن مصابيح العلم، والإنسان بطبعه حريص على معرفة المجهول، واستيضاح ما عزت عليه معرفته، فاضطرتهم الضرورة إلى الاستفسار من أهل الكتاب الذين أسلموا كعبد الله بن سلام، وكعب الأحبار، فكان بعض الصحابة يسألهم عن بعض جزئيات الحوادث، وعن تفصيل مجملات القصص، بقدر ما يرون أنه موضح للقصة، ومبين لما أجمله القرآن منها.

غير أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا في رجوعهم إلى أهل الكتاب يسيرون على المنهج القويم الذى رسمه لهم رسول الله ﷺ، وكان حاضراً في أذهانهم ذلك الميزان الشرعي الذى استخلصوه من أحاديث الرسول ﷺ في شأن الرجوع إلى أهل الكتاب، فلم يكن سؤالهم لمن أسلم منهم عن كل شيء، ولم يكونوا يصدقونهم في كل شيء – كما يقول المستشرقون ومن يجرى في ركابهم من المسلمين – بل يسألون عن أشياء لا تعدو أن تكون بيانًا لما أجمل في قصة من قصص القرآن الكريم، فإن ألقوا إليهم بشيء من ذلك تلقوه بحرص، وتفرسوه في روية، فما كان منه وفق شرعنا صدقوه، وما كان على خلافه كذبوه، وما كان مسكوتًا عنه في

شرعنا توقفوا فيه، فلا يحكمون عليه بصدق ولا بكذب ما دام يحتمل كلا الأمرين، امتثالاً لقول الرسول ﷺ: «لا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلا تُكَذِّبُوهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا»(١).

كذلك لم يسأل الصحابة أهل الكتاب عن شيء مما يتعلق بالعقيدة، أو يتصل بالأحكام التي شرع الله لهم، اكتفاءً بما عندهم في ذلك، اللهم إلا ما كان سؤالهم لغرض إلزام المعاندين الحجة بشهادة ما في أيديهم من الكتب .

كذلك كان الصحابة لا يعدلون عما ثبت عن رسول الله ﷺ إلى سؤال أهل الكتاب، لأنه إذا صح الحديث عن رسول الله ﷺ فلا يجوز المصير إلى غيره.

كما كانوا رضوان الله عليهم لا يسألون عن الأشياء التي يشبه أن يكون السؤال عنها نوعًا من العبث، وتضييع الأوقات فيما لا يفيد، كالسؤال عن لون كلب أهل الكهف، ومقدار سفينة نوح ﷺ ونوع خشبها، واسم الغلام الذى قتله الخضر ﷺ وغير ذلك مما يعد السؤال عنه من قبيل تضييع الوقت في غير فائدة، ولهذا قال الدهلوي - بعد أن بين أن السؤال عن مثل هذا تكلف ما لا يعنى -: "وكانت الصحابة رضى الله عنهم يعدون مثل ذلك قبيحًا من قبيل تضييع الأوقات"(٢).

ولقد بلغ الأمر بالصحابة -رضوان الله عليهم - أنهم كانوا إذا سألوا من أسلم من أهل الكتاب عن شيء فأجابوا عنه خطأً ردوا عليهم خطأهم، وبينوا لهم وجه الصواب فيه، وستأتي بعض الأمثلة على ذلك.

ومهما يكن من شيء فإن الصحابة لم يخرجوا عن دائرة الجواز التي حددها لهم رسول الله

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير، باب ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ ٨/٢٠ (٤٤٨٥) .

(٢) انظر: الفوز الكبير في أصول التفسير صـ ٣٥ .

ﷺ، ولا عما فهموه من الإباحة في قوله: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ»[(١)].

ولا يجوز أن يُجعل من تلقى الإسرائيليات على هذا النحو وسيلة للنيل من صحابة رسول الله ﷺ لأنهم - كما سبق - كانوا يزنونها بالميزان الشرعي، وكان ذلك منهم بعد استقرار أصول الشريعة، وإرساء قواعدها، وكان ما يروونه من ذلك مما يتعلق بالقصص والأخبار لا بالأحكام، سواءٌ أكانت اعتقادية أم شرعية، فلم تكن هذه المرويات بالتي تزلزل عقائدهم أو تشوش أفكارهم - وهم من هم في العلم والدين -.

كما أنه لا يجوز أن يتخذ من رواية هذه الإسرائيليات ذريعة للطعن في رواتها من مسلمة أهل الكتاب ممن زكاهم الصحابة وأثنوا عليهم خيراً، وذلك لأنهم حكوها عن كتب غير مصدقين لها على الإطلاق، بل كانت عقيدتهم فيها كما بينته الآثار: ما جاء على وفق شرعنا صدقوه، وما خالفه كذبوه، وما لم يوافق أو يخالف شرعنا ردوا فيه العلم إلى الله ﷻ، وما مثلهم فيما ينقلون ويحكون إلا كمثل رجل أمين أراد أن يطلعك على مؤلف بغير لسانك، فترجمه إلى لغة تفهمها لتعرف ما فيه إن صدقاً وإن كذباً، وليس أمثال ابن عباس وابن عمرو بالقاصرين عن تمييز الخبيث من الطيب، حتى يقال: إن نقلها لهم يشوش على أفكارهم وعقائدهم[(٢)].

ولقد حاول بعض المستشرقين تصوير الصحابة في صورة سذج أهل غفلة يصدقون كل ما

---

(١) انظر: الإسرائيليات في التفسير والحديث صـ٥٥، والتحبير في الإسرائيليات صـ٨٨. والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، ح (٣٢٧٤).

(٢) انظر: الحديث والمحدثون، للشيخ / محمد أبو زهو صـ١٨٦، ١٨٧.

يلقى إليهم من أهل الكتاب، وتبعهم في هذا الهراء بعض الباحثين[١].

والحق أن هذا الزعم مخالف للواقع ومجانب للصواب، فقد علم الصحابة من كتاب الله ﷻ أن أهل الكتاب غيروا في كتبهم وبدلوا، فاختلط فيها الحق بالباطل، والصدق بالكذب، ورووا عن النبي ﷺ قوله: «لا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلا تُكَذِّبُوهُمْ ...»، ونهي بعضهم كابن عباس عن الأخذ عنهم، وكان عند عبد الله بن عمرو صحيفة عن النبي ﷺ كان يسميها (الصادقة) تمييزاً لها عن صحف كانت عنده من أهل الكتاب، فلم يكونوا مغفلين يصدقون كل ما يُلقى إليهم كما اتهموا.

وأرى – بعد هذه المقدمة – أن أعرض لما قيل وكيل من تهم لبعض هؤلاء الصحابة الذين رويت عنهم مرويات إسرائيلية، ثم أرجع عليها بالرد والتفنيد، تبرئة لساحة هؤلاء الأعلام الذين كان لهم في الإسلام قدم صدق، وفي نشر تعاليمه أثر يُذكر فيُشكر.

فمع المقام العالي، والفضل الكبير الذى وصل إليه أبو هريرة رضى الله عنه نجد "أبا رية" يشن هجوماً عنيفاً عليه، دون مراعاة لسبقه وعلو كعبه! فيقول: (إن الصحابة وثقوا بمسلمة أهل الكتاب واغتروا بهم، فصدقوهم فيما يقولون، ورووا عنهم ما يفترون، وإنا أبا هريرة كان أكثر الصحابة أخذاً عنهم، وانقياداً لهم!)[٢].

ويقول أيضاً: (إن أبا هريرة وغيره من كبار الصحابة رووا عن كعب الأحبار اليهودي الذى أظهر الإسلام خداعاً وطوى قلبه على يهوديته، وإن أبا هريرة كان أول الصحابة انخداعاً به، وثقة فيه، ورواية عنه وعن إخوانه، وأن كعباً سلط دهاءه على سذاجة أبى هريرة لكى

---

(١) كالسيد رشيد رضا في تفسير المنار ١ /٦١٥، ٧٨٣، والأستاذ أحمد أمين في كتابه فجر الإسلام صـ٢٠١، وأبى رية في كتابه أضواء على السنة المحمدية صـ١١٠، ١٢٥.

(٢) انظر: أضواء على السنة المحمدية صـ ١٢٥، ١٢٦.

يستحوذ عليه وينيمه، ليلقنه كل ما يريد أن يبثه في الدين الإسلامي من خرافات وأوهام)[1].

فهل هذا الكلام يعقل؟! معاذ الله أن يكون سيد الحفاظ غافلاً ساذجًا، وإلى هذا الحد الذى استغله كعب فاتخذه بوقًا لأفكار يهودية مسمومة يبثها بين المسلمين، تكون معول هدم للإسلام ومقدساته.

وكيف يكون ساذجًا من كان يتصدى للفتوى ويجلس له مشاهير الصحابة ويأخذون عنه حديث رسول الله ﷺ كابن عباس، وابن عمر، وأنس وغيرهم رضي الله عنهم، أم كيف يكون ساذجًا من جعله رسول الله ﷺ حارسًا على أموال الزكاة[2]. ومن ولاه عمر الفاروق رضى الله عنه إمارة البحرين مرة وعرضها عليه أخرى فأبى. وعمر هو عمر العبقري المُلْهَم، كما شهد له رسول الله ﷺ بذلك[3].

ورداً على "أبى رية" ومن تابعه، نسوق هذه الرواية من صحيح البخاري: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ذَكَرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَقَالَ: «فِيهِ سَاعَةٌ لا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى شَيْئًا إِلا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ»، وَأَشَارَ بِيَدِهِ يُقَلِّلُهَا.

(وقد اختلف السلف في تعيين هذه الساعة، وهل هي باقية أو رُفعت؟ وإذا كانت باقية فهل هي في جمعة واحدة من السنة أو في كل جمعة منها؟ ، فنجد أبا هريرة يسأل كعب الأحبار عن ذلك، فيجيبه كعب بأنها في جمعة واحدة من السنة، فيرد عليه أبو هريرة قوله هذا، ويبين أنها في

---

(١) المصدر السابق صـ ١٧٢.

(٢) انظر: حديث ولايته على حفظ زكاة رمضان في صحيح البخاري، في كتاب الوكالة، باب ١٠، إذا وكل رجلاً فترك الوكيل شيئًا فأجازه الموكل فهو جائز ٥٦٨/٤، ح ٢٣١١.

(٣) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة، باب: مناقب عمر بن الخطاب ٥٢/٧، ح٣٦٨٩ عن أبى هريرة مرفوعًا: (لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ مُحَدَّثُونَ فَإِنْ يَكُ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ فَإِنَّهُ عُمَرُ) .

كل جمعة، فيرجع كعب إلى التوراة فيرى الصواب مع أبى هريرة رضى الله عنه فيرجع إليه)[(١)].

كما نجد أبا هريرة أيضـاً يسأل عبد الله بن سلام عن تحديد هذه الساعة ويقول له: أَخْبِرْنِي وَلا تَضِنَّ عَلَيَّ، قَالَ عَبْدُ اللهِ: هِيَ آخِرُ سَاعَةٍ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: كَيْفَ تَكُونُ آخِرَ سَاعَةٍ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((لا يُصَادِفُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يُصَلِّي» وَتِلْكَ سَاعَةٌ لا يُصَلَّى فِيهَا، قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلامٍ: أَلَمْ يَقُلْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((مَنْ جَلَسَ مَجْلِسًا يَنْتَظِرُ فِيهِ الصَّلاةَ فَهُوَ فِي الصَّلاةِ حَتَّى يُصَلِّيَ»، فَقُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَهُوَ ذَاكَ[(٢)].

فمثل هذه المراجعة التي كانت بين أبى هريرة وكعب الأحبار، وبينه وبين عبد الله بن سلام، تدلنا على أن الصحابة كانوا لا يقبلون كل ما يُقال لهم، بل كانوا يتحرون الصواب ما استطاعوه، ويردّون على أهل الكتاب أقوالهم إن كانت لا توافق وجه الصواب.

وهذا مما يعتبر بحق أمارة حذقه ودقته، ودليل خبرته وفطنته، ومن أجل هذا نجد كعبـاً يقرر له بأنه أعلم بالتوراة من غيره، فقد أخرج البيهقي عن أبى هريرة ﷺ أنه لقى كعبـاً، فجعل يحدثه ويسأله، فقال كعب: ما رأيت رجلاً لم يقرأ التوراة أعلم بما في التوراة من أبى هريرة.

وإن تعجب فعجب زعم أبى رية أن هذا الثناء مكر وخداع، حيث يقول – فض الله فاه –: (ويتبين من الاستقراء أن كعب الأحبار قد سلط قوة دهائه على سذاجة أبى هريرة لكى يستحوذ عليه وينيمه ليلقنه كل ما يريد أن يبثه في الدين الإسلامي من خرافات وأوهام، وكان له في ذلك

(١) انظر: شرح القسطلاني لصحيح البخاري ٢ / ١٩٠ .

(٢) المرجع السابق، والحديث أخرجه الترمذي في الصلاة، باب في الساعة التي ترجى في يوم الجمعة ٢/ ٢٨٣، ح٤٩١، وقال: حسن صحيح، وأبو داود في الصلاة، باب: فضل يوم الجمعة ١/٤٥٠، ح ١٠٤٦، والنسائي في الجمعة، باب ذكر فضل يوم الجمعة ٢/١٩٥، ح ١٣٧٢.

أساليب غريبة، وطرق عجيبة، فقد روى الذهبي في تذكرة الحفاظ في ترجمة أبى هريرة أن كعبًا قال فيه: (ما رأيت أحداً لم يقرأ التوراة أعلم بما فيها من أبى هريرة)، فانظر دهاء هذا الكاهن ومكره بأبي هريرة الذى يتجلى في درس تاريخه أنه كان رجلاً فيه غفلة، إذ من أين يعلم أبو هريرة ما في التوراة، ولو عرفها لما استطاع أن يقرأها لأنها كانت باللغة العبرية .. الخ "[1].

ونقول في الجواب: إن صح ثناء كعب على أبى هريرة ﷺ فلا شيء فيه، لأن كثيراً من الناس يستمعون الأخبار من المجالس والندوات دون أن يطلعوا على الصحف، وأبو هريرة كان يسمع من غير واحد من مسلمة أهل الكتاب غير كعب مثل عبد الله بن سلام وغيره، وكان ذا حافظة قوية، فلما كان يذاكر كعبًا يراه عالمًا بشيء كثير مما سمعه منه قبل ذلك أو من غيره، ولم ير أحداً ممن لم يقرأ التوراة فيه تلك الميزة غير أبى هريرة، فأثنى عليه بذلك، ولا أدرى كيف ذهل أبو رية عن أن العلم لا يتوقف على معرفة القراءة والكتابة مع أن الكلمة المسموعة لا تقل عن الكلمة المقروءة ثباتًا في النفس؟ ، وماذا يقول أبو رية في بعض العميان في القديم والحديث الذين حصلوا من العلوم والمعارف ما لم يحصله غيرهم من المبصرين القارئين الكاتبين؟!

ومهما يكن من شيء فإن الصحابة لم يخرجوا عن دائرة الجواز التي حددها لهم رسول الله ﷺ: ((وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا حَرَجَ ..». هذا هو الظن بأصحاب النبي ﷺ، وهذا ما يتناسب مع مقامهم وفضلهم، ليس كما يزعم أبو رية ومن دار في فلكه.

*** وإذا كان أبو هريرة راوية الإسلام لم يسلم من المستشرقين ومن يجرى في ركابهم، فحبر الأمة وبحرها ابن عباس لم يسلم أيضًا من ألسنتهم الحداد، فنالوا منه وكالوا له التهم، وإليك

(١) انظر: أضواء على السنة المحمدية صـ ١٧٢، ١٧٣.

ما قيل فيه والجواب عنه:

فابن عباس كان يرجع إلى من أسلم من أهل الكتاب ويأخذ عنهم بحكم اتفاق القرآن مع التوراة أو الإنجيل في كثير من المواضع التي أجملت في القرآن وفصلت في التوراة أو الإنجيل، ولكن كما بينت – فيما سبق – أن الرجوع إلى أهل الكتاب كان ضمن نطاق محدود مما يتفق مع القرآن ويشهد له، أما ما عدا ذلك مما يختلف مع القرآن، ولا يتسق مع الشريعة الإسلامية، أو مما لا يستسيغه العقل ولا يصدقه، فكان ابن عباس لا يرتضيه ولا يأخذ به.

غير أن نفراً من المستشرقين اتهموا ابن عباس بالتساهل في الأخذ عن أهل الكتاب متعللين بأن ابن عباس وغيره من الصحابة كانوا يرونهم أقدر الناس على الفهم للقرآن الكريم – زعموا – من هؤلاء المستشرقين جولد زيهر، حيث يقول في كتابه مذاهب التفسير الإسلامي: (إن ابن عباس كان لا يرى غضاضة أن يرجع في الأحوال التي يخامره الشك فيها إلى من يرجو عنده علمها، وكثيراً ما ذكر أنه كان يرجع في تفسير معانى الألفاظ إلى من يدعى أبا الجلد جيلان بن فروة) .

ثم يقول: (وكثيراً ما تجد بين مصادر العلم المفضلة لدى ابن عباس اليهوديين اللذين اعتنقا الإسلام كعب الأحبار، وعبد الله بن سلام.. ولم يعد ابن عباس أولئك الكتابيين حججاً فقط في الإسرائيليات وأخبار الكتب السابقة.. بل كان يسأل أيضاً كعب الأحبار مثلاً عن التفسير الصحيح للتعبيرين القرآنيين "أم الكتاب"، "والمرجان"، وقد رأى الناس في هؤلاء اليهود أن عندهم الفهم – على العموم – في القرآن وفي كلام الرسول ﷺ وما فيهما من المعاني الدينية، ورجعوا إليهم سائلين عن هذه المسائل بالرغم من التحذير الشديد من كل جهة من

سؤالهم)[1].

وقد تابعه على ذلك أحمد أمين حيث يقول: (وقد دخل بعض هؤلاء اليهود في الإسلام فتسرب منهم إلى المسلمين كثير من هذه الأخبار ودخلت في تفسير القرآن يستكملون بها الشرح، ولم يتحرج حتى كبار الصحابة مثل ابن عباس عن أخذ قولهم، روى أن النبي ﷺ قال: ((إِذَا حَدَّثَكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَلَا تُصَدِّقُوهُمْ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ))، ولكن العمل كان على غير ذلك، وأنهم كانوا يصدقونهم وينقلون عنهم)[2].

وجاء في دائرة المعارف الإسلامية تحت مادة "ابن عباس": "أخذ ابن عباس كثيراً من القصص من الذين أسلموا لاسيما كعب وصاغها صياغة جديدة حتى تطابق القرآن"[3].

والحق أن هذا الاتهام بعيد كل البعد عن الصواب، فابن عباس وغيره من الصحابة -كما سبق أن بُين - كانوا يسألون علماء اليهود الذين أسلموا، ولكن لم يكن سؤالهم عن شيء يتصل بالعقيدة أو بأصل من أصول الدين أو حتى عن فرع من فروعه، وإنما كانوا يسألونهم عن بعض تفاصيل القصص، ولم يكونوا يسلمون بكل ما يقال على أنه صواب، بل كانوا يحكمون دينهم وعقلهم، فما اتفق مع الدين والعقل قبلوه، وما ناقضهما طرحوه، وما سكت الشرع عنه واحتمل الصدق والكذب توقفوا فيه.

ثم كيف يعقل أن يستبيح ابن عباس لنفسه أن يحدث عن بنى إسرائيل بمثل هذا التساهل الذى يجعله مخالفاً لأمر رسول الله ﷺ، وقد كان من أشد الناس نكيراً على من يفعل ذلك،

---

(١) انظر: المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن، ترجمة د / على حسن عبد القادر، صـ ٦٥.

(٢) انظر: فجر الإسلام لأحمد أمين صـ ٣٢٠، ط / الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(٣) دائرة المعارف الإسلامية ٢٠/١، نقلاً عن الدخيل في قصص التنزيل، د/محمد مسعد صـ٦٩.

فقد ثبت عنه أنه قال: ((يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الْكِتَابِ وَكِتَابُكُمْ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ أَحْدَثُ الأَخْبَارِ بِاللهِ تَقْرَءُونَهُ لَمْ يُشَبْ، وَقَدْ حَدَّثَكُمْ اللهُ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ بَدَّلُوا مَا كَتَبَ اللهُ، وَغَيَّرُوا بِأَيْدِيهِمْ الْكِتَابَ فَقَالُوا: هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً، أَفَلا يَنْهَاكُمْ مَا جَاءَكُمْ مِنْ الْعِلْمِ عَنْ مُسَاءَلَتِهِمْ، وَلا وَاللهِ مَا رَأَيْنَا مِنْهُمْ رَجُلاً قَطُّ يَسْأَلُكُمْ عَنْ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ»[(١)].

وقد قام الباحثون المسلمون بدراسة هذا الزعم وحصروا كل ما ورد من سؤالات ابن عباس لهؤلاء الكتابيين الذين دخلوا في الإسلام، وقد جاءت نتيجة هذه الدراسة رافضة هذا الزعم ومثبتة كذبه، وذلك على النحو التالي:

أن ابن عباس لم يتصل بأبي الجلد اتصال المتعلم بالعالم. وزعمت الرواية أن ابن عباس اتصل به كتابة، ولم يكتب إليه إلا مرة واحدة. وكتاب ابن عباس لأبى الجلد لا يحتوى إلا على سؤال واحد عن المعنى اللغوي لكلمتي "الرعد" و"البرق".

ولقد قام العلامة أحمد شاكر بتحقيق أسانيد هذه الروايات، وأثبت ضعفها[(٢)].

وإذا كانت أسانيد هذه الروايات ضعيفة لا تقوم بها الحجة، فإن متن هذه الروايات ضعيف أيضًا، لأن كلمتي "الرعد" و"البرق" كلمتان عربيتان معروف معناهما لدى عامة العرب وليس مشكلا، وابن عباس ترجمان القرآن، فالزعم بعدم معرفته معنى هاتين الكلمتين زعم ساقط أصلاً، إذ يستحيل أن يعرف حبر الأمة معانى القرآن كله -كما تشهد على ذلك آثاره التفسيرية - ويقف عاجزاً عن معنى هاتين الكلمتين، يعرف معناهما أي عربي، بل أي متحدث بالعربية حتى ولو كان أعجميًا تعلم العربية.

---

(١) أخرجه البخاري في الشهادات، باب لا يسأل أهل الشرك عن الشهادة ٥/ ٣٤٤ (٢٦٨٥) .

(٢) انظر: جامع البيان للطبري، ت/ شاكر، آثار رقم (٤٣٤، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٤٤، ٤٤٥) .

ولقد كانت الجزيرة العربية كثيراً ما تتعرض للعواصف والأمطار، أفلم يشاهد ابن عباس شيئًا من ذلك قط؟ ، ولقد تحدث الشعراء عن تلك الظواهر الطبيعية التي كانت تجتاح الجزيرة العربية، وكان ابن عباس موسوعة في حفظ الشعر العربي، وهو الذى أرسى دعائم الاستعانة بالشعر في التفسير، ولذا فمن غير المتصور ألا يكون ابن عباس قد اطلع على كلمتي "الرعد" و "البرق" في الشعر.

ثم هل يعرض ابن عباس عن سؤال الصحابة الذين عايشوا الوحى ويجاهد الكتابة إلى يهودي يسأله عن معنى هاتين الكلمتين؟ وهل يصدف عن سؤال العرب الذين نزل القرآن بلسانهم ويلجأ إلى يهودي؟ . وهل يسأل يهوديًا ليس له ذكر بين العلماء أم يسأل رجلاً عربيًا معروفًا بالعلم ومعرفة اللسان العربي؟ .

وبناءً على هذا فإن الحق أن هذه الروايات موضوعة على ابن عباس.

وأما عن اتهام ابن عباس بالرجوع إلى كعب الأحبار لمعرفة "أم القرآن" و"المرجان" فهناك رواية ذكرها الطبري في تفسيره[1]، وفيها أن ابن عباس سأل كعبًا عن معنى أم الكتاب الذى ورد في قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد/٣٩] وهذه الرواية لا بأس بسندها، ولكن الملاحظ أن الطبري ذكر أيضًا بجوار هذه الرواية الوحيدة عديداً من روايات تفسيرية أخرى منسوبة إلى ابن عباس في تفسير هذه الكلمة، ويظهر من هذا أن ابن عباس كان يعرف معنى ﴿أُمُّ الْكِتَابِ﴾ إذن لم يكن الداعي إلى سؤاله كعبًا عنها عدم معرفته بمعناها، بل يبدو أنه سأله عن رأيه الخاص فيها، ولقد كان لكعب فيها رأى خاص، فقد روى عن كعب أنه قال لعمر بن الخطاب: "يا أمير المؤمنين، لولا آية في كتاب الله لأنبأتك ما هو كائن إلى يوم القيامة، قال:

(١) جامع البيان ١٣ / ١٧١ .

وما هي؟ ، قال: قول الله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ .

فهل المفهوم من هذه الرواية أن كعبًا كان يحاول أن يوحى إلى عمر بن الخطاب بأنه يعلم ما هو كائن إلى يوم القيامة؟ أم هل كان يرى أن أم الكتاب هي الكتب الدينية القديمة التي كان يعرفها – وهو الحبر – ويزعم أنها تحتوى على خبر ما هو كائن إلى يوم القيامة؟ وعلى هذا يظهر أن ابن عباس سأله عن ذلك ليعرف رأيه الخاص في المسألة، ويقف على معتقده فيها، ولم يكن يسأله لأنه يجهل معنى الكلمة في القرآن.

وأما كلمة (المرجان) التي وردت مرتين في سورة الرحمن آية ٢٢، ٨٥، فليس في التفاسير التي بين أيدينا أي رواية – ولو ضعيفة – تذكر أن ابن عباس سأل كعبًا عن معناها، واتهام ابن عباس بسؤاله كعبًا عنها محض وهم أو افتراء.

وكذلك اتهام ابن عباس بالأخذ عن عبد الله بن سلام اتهام ليس له نصيب من الصحة، لأنه لا توجد أي رواية تفيد أخذ ابن عباس عنه شيئًا من ذلك.

*** ولم يكن الإمام العلم العابد أبو محمد عبد الله بن عمرو بمنجى من التهمة كأخويه أبى هريرة وابن عباس رضى الله عنهم. فقد نُسب إليه – ﷺ – أنه أصاب زاملتين من كتب أهل الكتاب يوم اليرموك، وكان يُحدِّث منهما! !(١).

قلت: إذا صح ما نُسب إليه من قصة الزاملتين، فلا يصح أنه كان يحدث بكل ما فيهما من حق وباطل، بل كان يتحرى ما يروى عنهما من أخبار، فلا يحدث إلا في حدود ما فهمه الصحابة من الإذن في قوله ﷺ: ((وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا حَرَجَ"يدل على ذلك ما ورد عن مجاهد أنه قال: ((أتيت عبد الله بن عمرو فتناولت صحيفة تحت مفرشه فمنعني، فقلت: ما

(١) انظر: فتح الباري ١ / ٢٥٠ .

كنت تمنعني شيئًا، قال: هذه الصادقة: ما سمعت من رسول الله ﷺ ليس بيني وبينه أحد، إذا سلمت لي هذه، وكتاب الله، والوهط -وهو بستان ومال له بالطائف - فلا أبالى ما كانت عليه الدنيا».[1]

فهذا يدل على أنه ﷺ ما كان يعير زاملتيه المزعومتين اهتمامًا، ولا يرى فيهما أثارة من علم تدعو إلى الحرص عليهما وإذاعة ما فيهما على الناس! وإساءة الظن بأصحاب النبي ﷺ دليل على غل في الصدر، وعفونة في النفس.

ثم إن حياة عبد الله بن عمرو كانت مليئة بالتعبد والجهاد، فلم يكن هناك وقت للرواية عن بنى إسرائيل، وإليك البرهان على لسانه: يقول رضى الله عنه: زَوَّجَنِي أَبِي امْرَأَةً مِنْ قُرَيْشٍ فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيَّ جَعَلْتُ لا أَنْحَاشُ لَهَا مِمَّا بِي مِنْ الْقُوَّةِ عَلَى الْعِبَادَةِ مِنْ الصَّوْمِ وَالصَّلاةِ فَجَاءَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ إِلَى كَنَّتِهِ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهَا فَقَالَ لَهَا: كَيْفَ وَجَدْتِ بَعْلَكِ؟ ، قَالَتْ: خَيْرَ الرِّجَالِ، أَوْ كَخَيْرِ الْبُعُولَةِ، مِنْ رَجُلٍ لَمْ يُفَتِّشْ لَنَا كَنَفًا وَلَمْ يَعْرِفْ لَنَا فِرَاشًا، فَأَقْبَلَ عَلَيَّ فَعَذَمَنِي وَعَضَّنِي بِلِسَانِهِ فَقَالَ: أَنْكَحْتُكَ امْرَأَةً مِنْ قُرَيْشٍ ذَاتَ حَسَبٍ فَعَضَلْتَهَا وَفَعَلْتَ وَفَعَلْتَ ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَشَكَانِي فَأَرْسَلَ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ فَأَتَيْتُهُ، فَقَالَ لِي: ((أَتَصُومُ النَّهَارَ» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: ((وَتَقُومُ اللَّيْلَ» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: ((لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَنَامُ وَأَمَسُّ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» قَالَ: ((اقْرَأ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ» قُلْتُ: إِنِّي أَجِدُنِي أَقْوَى مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: ((فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ عَشَرَةِ أَيَّامٍ» قُلْتُ: إِنِّي أَجِدُنِي أَقْوَى مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: ((فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ ثَلاثٍ» ثُمَّ قَالَ: ((صُمْ فِي كُلِّ شَهْرٍ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ» قُلْتُ: إِنِّي أَقْوَى مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: فَلَمْ يَزَلْ يَرْفَعُنِي حَتَّى قَالَ:

---

(١) أخرجه الدارمي في سننه بنحوه، ١ / ٤٣٧ ح (٥١٣) .

((صُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمًا فَإِنَّهُ أَفْضَلُ الصِّيَامِ وَهُوَ صِيَامُ أَخِي دَاوُدَ»[١].

وعلى هذا الجهد عاش هذا السيد العابد، والإمام القانت، بالإضافة إلى ما قام به من جهاد في سبيل الله تعالى، فأين الوقت الذى سيقص علينا فيه عن بنى إسرائيل وأحوالهم؟! . إن الاعتقاد يوجب علينا أن ما أشيع عنه من مرويات عن أهل الكتاب باطل لا أساس له من الصحة[٢].

ونظراً لضيق وقته – بسبب ما سبق بيانه – أقل الرواية عن رسول الله ﷺ، وهذا الإقلال النسبي من روايته للحديث لم يكن له دافع إلا الحذر والحيطة فيما يروى، هذا الورع الذى قيد ابن عمرو فجعله لا يبث كل ما في وعائه من حديث رسول الله ﷺ لا يستقيم معه بحال أن يبث من زاملتيه كل ما نسب إليه من مرويات إسرائيلية، وبعضها كذب صراح.

وما كان ابن عمرو ليضيع وقته في قراءة خرافات زاملتيه فضلاً عن أن يحدث منهما، وهو الذى كان يفنى وقته في قيام الليل وصيام النهار، ولا يكاد يني عن تلاوة القرآن الكريم.

وما كان ابن عمرو ليضلل غيره بالحديث عما في زاملتيه من ترهات، وإلا كان داعية لهو، وهو الصحابي الصادق الورع، ولم ير العلماء في كتب السنة مروياً عنه إلا النزر اليسير جداً مما

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢ / ١٥٨ ورجاله ثقات .

(٢) كيف لا وقد كُذب عليه رضى الله عنه في حياته، فما الظن بالكذب عليه بعد وفاته؟ ! يدل على ذلك ما رواه الإمام أحمد في مسنده ٨٣/١٠: "عَنِ يَعْقُوبَ بْن عَاصِمِ بْنِ عُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلاً قَالَ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو: إِنَّكَ تَقُولُ إِنَّ السَّاعَةَ تَقُومُ إِلَى كَذَا وَكَذَا؟، قَالَ: لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ لا أُحَدِّثَكُمْ شَيْئًا، إِنَّمَا قُلْتُ: إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدَ قَلِيلٍ أَمْرًا عَظِيمًا"، وروى أيضاً: "عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الدَّيْلَمِيِّ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو وَهُوَ فِي حَائِطٍ لَهُ بِالطَّائِفِ يُقَالُ لَهُ الْوَهْطُ، فَقُلْتُ: بَلَغَنِي عَنْكَ حَدِيثٌ كذا، فقال: إِنِّي لا أُحِلُّ لأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ". المسند ١٦٨/١٠.

يصح أن يطلق عليه إسرائيليات كحديث الإمام مسلم في مقدمة صحيحه: "إن في البحر شياطين مسجونة أوثقها سليمان، يوشك أن تخرج فتقرأ على الناس قرآنا"، والموجود في كتب التاريخ منها مرويًا عنه إما مبتور الأسانيد فيكون محلاً للشك، أو ضعيفًا فيكون موجبًا للرفض.

هذا، ولقد قيض الله تعالى لهذه الأمة أئمة ونقاداً تتبعوا ما روى عن هؤلاء الأعلام وبينوا ما نسب إليهم، وما افترى عليهم، ولله الحمد والمنة.

وهكذا يثبت بالأدلة الواضحة أن المستشرقين جانبهم الصواب حين اتهموا بعض الصحابة بالأخذ عن أهل الكتاب، كذلك جانب الصواب من شايعهم على رأيهم، فلم تكن الإسرائيليات مصدراً من مصادر التفسير الأصيلة عند الصحابة، ولم يعتمد عليها أحد منهم قط اعتماداً كليًا، وقصارى الأمر أن بعضهم استأنس - في مواضع نادرة - ببعض القصص الإسرائيلي الذى لا يخالف العقيدة الإسلامية ولا يمسها بأدنى سوء، ولا يتعارض مع ما جاء في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وأنهم كانوا يراجعون أهل الكتاب فيروونه ويردون الفاسد من رواياتهم ويدحضونه[1].

(١) انظر: التحبير صـ ٨٨، وتفسير الصحابة ٨٩، ٩٠.

المبحث الثاني: موقف الصحابة من القصاص[١].

يسبق إلى الذهن عند ذكر القُصَّاص أنهم من يسرد القصص والأخبار، بيد أنهم في العرف الاصطلاحي أعم، فيراد بهم المتصدرون لوعظ الناس وتذكيرهم وحثهم على الخير وترهيبهم من الشر، ويدل لذلك أن تميمًا الداري حين استأذن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما في أن يقص، قال له: (ما تقول؟ قال: أقرأ عليهم القرآن، وآمرهم بالخير وأنهاهم عن الشر)[٢].

ولعلهم سموا بالقُصَّاص لعنايتهم بأمر القصص والأخبار، وهذا متفق مع معنى القص لغة، إذ يعنى الإخبار بالشيء، فيقال: قص عليه الرؤيا إذا أخبره بها، والقاصُّ هو الذي يأْتي بالقِصّة على وجهها[٣].

وفي قصة تميم واستئذانه لعمر ما يدل على أن عمر توقف في الإذن له حتى ألح عليه، فعَنْ عَمْرِو بن دِينَارٍ: "أَنَّ تَمِيمًا الدَّارِيَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرَ فِي الْقَصَصِ، فَأَبَى أَنْ يَأْذَنَ لَهُ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَهُ فَأَبَى أَنْ يَأْذَنَ لَهُ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَهُ، فَقَالَ: إِنْ شِئْتَ وَأَشَارَ بِيَدِهِ، يَعْنِي الذَّبْحَ"[٤]. ويستفاد من ذلك أمران:

الأول: أن ظهور القُصَّاص كان مبكراً في خلافة عمر.

الثاني: أن القُصَّاص كانوا يمارسون وظيفتهم بشكل محدود، وتوقف عمر عن الإذن لتميم

---

(١) انظر: تفسير الصحابة، د/ أبو السعود بدر صـ٤٠، ونقد الصحابة والتابعين للتفسير صـ٣٦٩.

(٢) انظر: تاريخ دمشق ١١ / ٨٠ .

(٣) انظر: لسان العرب ٥/ ٣٦٥١، مادة (قصص) .

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٢/ ٤٩، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٩٠/١: (رجاله رجال الصحيح إلا أن عمرو بن دينار لم يسمع من عمر)، وقال الحافظ العراقي في الباعث على الخلاص صـ ٧٠: (رجال إسناده ثقات) .أ هـ

يدل على أن الأمر ليس معتاداً، أضف إلى ذلك أن النبي ﷺ لم يرخص في القصص لكل أحد في قوله: ((لا يَقُصُّ عَلَى النَّاسِ إِلا أَمِيرٌ أَوْ مَأْمُورٌ أَوْ مُخْتَالٌ))[(١)].

ولذلك بقى القصص في نطاقه الضيق، من قبل الولاة أو من ينيبونهم، وبقى على هذه الحال حتى ظهرت الفتن بعد مقتل عثمان رضى الله عنه، فتوسع الناس - خاصة المبتدعة - في القصص، ولعلهم صنعوا ذلك رغبة في التأثير على عامة الناس واستمالتهم إلى مذاهبهم، ولذا يرد عن بعض السلف أن الذى أحدث القصص أهل البدع، وجاء عن بعضهم أن الذى أحدثها الحرورية، ومرادهم - والله أعلم - اشتهار القصص وكثرتها وظهورها بصورة مخالفة لما عليه الصدر الأول بسبب دخول المبتدعة فيها، وارتكابهم بعض المخالفات والبدع[(٢)]، ولذلك اشتد إنكار الصحابة على القصاص، وتنوعت أساليبهم، ومن أبرزها:

١) الإنكار القولي على القصاص، فعَنْ عَمْرِو بن زُرَارَةَ، قَالَ: ((وَقَفَ عَلَيَّ عَبْدُ اللهِ بن مسعود وَأَنَا أَقُصُّ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: يَا عَمْرُو لَقَدِ ابْتَدَعْتُمْ بِدْعَةَ ضَلالَةٍ، أَوَ أَنَّكُمْ لأَهْدَى مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، فَلَقَدْ رَأَيْتُهُمْ تَفَرَّقُوا عَنِّي، حَتَّى رَأَيْتُ مَكَانِي مَا فِيهِ أَحَدٌ))[(٣)].

٢) منعهم من الكلام في المساجد وإخراجهم منها، فقد أمر على بن أبى طالب رضى الله عنه بإخراج القصاص من المساجد[(٤)].

---

(١) أخرجه من حديث عوف بن مالك أبو داود في كتاب العلم، باب في القصص ٤/ ٢٦٠، وأحمد في المسند ٦/٢٣، ٢٧، ٢٩، والطبراني في المعجم الكبير ١٨/ ٥٥، ٥٦، وصححه الألباني في تعليقه على مشكاة المصابيح ١/٨٠.

(٢) انظر: تحذير الخواص من أكاذيب القصاص صـ٢٤٥ .

(٣) انظر: المعجم الكبير للطبراني ٩ / ١٢٧، ١٢٨ .

(٤) انظر: تحذير الخواص من أكاذيب القصاص صـ٢٦٣ .

٣) ترك الجلوس أو الاستماع إلى كلامهم، والاشتغال عنه بالأحاديث الجانبية، فعن سالم: (أن ابن عمر كان يخرج من المسجد فيلقاه الرجل، فيقول: ما شأنك يا أبا عبد الرحمن؟ ، فيقول: أخرجني القاص)[١].

ومن أهم دواعي نقد الصحابة للقصاص ما يلى[٢]:

أولاً: اشتمال مجالس القصاص على بعض البدع والمحدثات، فقد مر ابن عمر بقاص، وقد رفعوا أيديهم، فقال: " اللهم اقطع هذه الأيدي"[٣].

ثانياً: ما اتصف به كثير من القُصَّاص من قلة الفقه، والبعد عن العلم، وترتب على ذلك ضعف التحصيل العلمي لمن يجلس إليهم، ولقصور علم القصاص وقلة فقههم يقع منهم تحريف الأحاديث التي يروونها عمداً أو سهواً .

ثالثاً: مخالفة بعض القصاص لما يأمرون به أو ينهون عنه .

رابعاً: أن طريقة القصاص سبب للشهرة، وتدعو صاحبها إلى حب الظهور، ويحتمل أن بعض الصحابة شعر بذلك، فقد استأذن رجلٌ عمرَ في أن يقص، فكره ذلك له، وقال: "أخشى عليك أن تقص فترتفع عليهم في نفسك، ثم تقص فترتفع، حتى يخيل إليك أنك فوقهم بمنزلة الثريا، فيضعك الله تحت أقدامهم يوم القيامة بقدر ذلك"[٤].

ومر على بن أبى طالب ﷺ بقاص، فقال: "ما كنيتك؟ قال: أبو يحيى، فقال: بل أنت أبو

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف ٣ / ٢١٩، وانظر: تحذير الخواص صـ٢٤٥ .

(٢) انظر في الدواعي كتاب القصاص لابن الجوزي صـ٦٦ .

(٣) انظر: تحذير الخواص من أكاذيب القصاص صـ٢٥٩ .

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١ / ١٨، وانظر: تحذير الخواص صـ٢٣٣ .

اعرفوني"[1].

هذه أبرز أسباب انتقاد الصحابة للقصاص، ولا يفهم منه ذم القصاص بعامة، وإنما ذم من اتصف بهذه الصفات ونحوها مما يقدح في القاص ويفقده مصداقيته، ويقلل من تأثيره في الناس، وأكثر النقد الوارد عن الصحابة معلل بما تقدم، والنبي ﷺ عندما ذكر القصاص ذم نوعاً واحداً منهم، ولو كان صنيع القصاص مذموماً بإطلاق لما أذن عمر رضى الله عنه لتميم الداري وغيره.

إن القصص بمعناه العام الذى يشمل الوعظ والتذكير حين ينضبط بضوابطه ويبتعد عن المحاذير الشرعية فلا وجه للقول بمنعه. ولما ذم بعض السلف القصاص، قيل له: "أليس كان ابن مسعود يذكر؟ ، فقال: إنما أراد بذلك التواضع ومنفعة المسلمين، ولم يكن يكذب على الله ورسوله"[2].

انتقاد القصاص في التفسير:

من وظائف القاص الرئيسة تلاوة القرآن على الناس، كما تقدم عن تميم الداري، ويعنى القصاص - بشكل كبير - بنوعين من الآيات:

١) آيات الوعد والوعيد والترغيب والترهيب والخوف والرجاء .

٢) آيات القصص، وأخبار الأمم السابقة، لما لها من أثر في استمالة الحاضرين وجلب انتباههم، والقاص يحتاج عند مروره بهذه الآيات إلى بيانها، فيخطئ في فهمها بسبب تفسيرها بالروايات الباطلة والقصص المختلقة، وقد يستشهد ببعض الآيات وينزلها - خطأً - على ما

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف ٣ / ٢٢١ .

(٢) انظر: تحذير الخواص صـ٢٧٦ .

يعظ فيه، وقد اشتكى المفسرون منهم بسبب ذلك:

يقول الشوكاني: (ولسنا بملزومين بدفع الأكاذيب التي وضعها القصاص، ونفقت عند من لا يميز بين الصحيح والسقيم، فكم في بطون دفاتر التفاسير من أكاذيب وبلايا وأقاصيص كلها حديث خرافة، وما أحق من لا تمييز عنده لفنّ الرواية ولا معرفة به أن يدع التعرّض لتفسير كتاب الله، ويضع هذه الحماقات والأضحوكات في المواضع المناسبة لها من كتب القصاص)[1]. ولسوء سمعتهم وضعف مقولاتهم ومنقولاتهم في التفسير يكتفي بعض المفسرين للحكم ببطلان بعض الأقوال والروايات التفسيرية بأنها مما أتى به القصاص[2].

وأما انتقاد الصحابة ﷺ تفاسير القصاص، فمن وجوه:

الأول: انتقاد ضعف التأصيل العلمي لدى القصاص، وعدم أخذهم بالعلوم التي لابد منها للمفسر كعلم الناسخ والمنسوخ مثلاً، فقد مر علي بن أبي طالب بقاص يقص فقال له: "أتعرف الناسخ والمنسوخ؟ فقال: لا، قال: هلكت وأهلكت"، وجاء مثل ذلك عن ابن عباس.

الثاني: انتقاد القصاص على جرأتهم في تفسير القرآن وتعجلهم في تأويله دون استناد إلى دليل، فعن مسروق قال: (دخلنا المسجد فإذا رجل يقص على أصحابه، ويقول: ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ [الدخان/١٠] أتدرون ما ذلك الدخان؟ ، ذلك دخان يأتي يوم القيامة، فيأخذ أسماع المنافقين وأبصارهم، ويأخذ المؤمنين منه شبه الزكام، قال: فأتينا ابن مسعود، فذكرنا ذلك له وكان مضطجعاً، ففزع فقعد فقال: إن الله ﷻ قال لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ

---

(١) فتح القدير ٢ / ٢٧ .

(٢) انظر في ذلك: زاد المسير ٢٠٩/٤، وفتح القدير ٢٩/٢، وروح المعاني ٢٣٨/٧، والتحرير والتنوير ٨ / ٢٩٢، ١٦ / ١٧٤، ٢٠ / ١٠٥، ٢٩ / ٣٥٩، ٣٠ / ٢٨٢.

عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص/٨٦] إن من العلم أن يقول الرجل لما لا يعلم: الله أعلم، سأحدثكم عن ذلك، إن قريشاً لما أبطأت عن الإسلام، واستعصت على رسول الله ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم من الجهد والجوع حتى أكلوا العظام والميتة، وجعلوا يرفعون أبصارهم إلى السماء، فلا يرون إلا الدخان، قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ. يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، فقالوا: ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ قال الله جل ثناؤه: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ. يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾ [الدخان/ ١٥، ١٦] قال: فعادوا يوم بدر فانتقم الله منهم))[(١)].

والمعنى الذى ذكره القاص وإن كان هو الراجح في تأويل الآية[(٢)]، فإن إنكار ابن مسعود رضى الله عنه يكشف لنا موقف الصحابة من القصاص، فقد أنكر ابن مسعود تكلف القاص وتجشمه ما لا علم له به، وإخباره عن أمر لابد فيه من نقل عن المعصوم ﷺ، وبين أنه لا حرج في الاعتراف بعدم العلم[(٣)].

الثالث: يجتهد القصاص في إضفاء الصبغة الشرعية على مجالسهم، وحشد أكبر عدد من

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٥ / ١١١، وأخرجه البخاري بنحوه في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ ٨ / ٥٧١ (٤٨٢١) .

(٢) وهو قول على بن أبى طالب وابن عمر وابن عباس رضى الله عنهم، وهو ما رجحه ابن القيم وابن كثير، وهو أن الدخان سيقع قبل يوم القيامة، ودليله: ما رواه مسلم في صحيحه، في كتاب الفتن وأشراط الساعة (٤/٢٢٢٥) برقم (٢٩٠١) عن حذيفة بن أسيد الغفاري عن النبي ﷺ قال: (إن الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات، وذكر منها الدخان)، وسياق الآيات يؤيده [انظر: جامع البيان ٢٤/ ٢١، وإعلام الموقعين ٤/ ١٥٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٢٣٥] .

(٣) انظر: تفسير الصحابة، د / بدر صـ٤٣ .

الناس للاستماع إليهم، وبسبب انتقاد الصحابة لهم وانصراف الناس عنهم يقابل القصاص ذلك بترغيب الناس وحثهم على حضور مجالسهم، وينتزعون الأدلة من الكتاب والسنة، ويتأولونها بأن المعنى بها هم ومن يجلس إليهم دون غيرهم، ويشيعون ذلك في الناس، ومن تلك الأدلة: قوله تعالى: ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الأنعام/٥٢]، وقوله: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ [الكهف/٢٨]، فجعلوا هذه الآيات وأمثالها فيمن يجلس إليهم ويحضر مواعظهم، وادعوا نزولها فيهم، وقد انتقد بعض التابعين هذا الفهم الضيق:

فعن مجاهد قال: ((صليت الصبح مع سعيد بن المسيب، فلما سلّم الإمام ابتدر الناس القاصَّ، فقال سعيد: ما أسرعَهم إلى هذا المجلس! ، قال مجاهد: فقلت: يتأولون ما قال الله تعالى، قال: وما قال؟ ، قلت: ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ قال: وفي هذا ذَا؟ ، إنما ذلك في الصلاة التي انصرفنا عنها الآن، إنما ذاك في الصلاة))[(١)].

ومن سمات القصاص أنهم يميلون إلى التشديد، والإكثار في المواعظ من ذكر آيات الوعيد والترهيب، فقد دخل ابن مسعود ﷺ المسجد، فإذا قاصّ يذكر النار والأغلال، فجاء حتى قام على رأسه، فقال: "يا مذكر أتقنط الناس: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ الآية[(٢)] [الزمر/٥٣]. وقالت عائشة رضى الله عنها لقاص: " إياك وتقنيط الناس وإهلاكهم"[(٣)].

---

(١) انظر: جامع البيان ٧ / ٢٠٤ .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٤ / ١٦، والطبراني في المعجم الكبير ٩ / ١٢٧ .

(٣) أخرجه عبد الرزاق في المصنف ٣ / ٢٢٠ .

المبحث الثالث: الصحابة وتفسير متشابه القرآن الكريم.

المراد بالآيات المتشابهة: الآيات التي يتعارض ظاهر معناها مع ظاهر معانى آيات أخرى. قال القرطبي: (ومتبعوا المتشابه من الآيات ومفسروها لهم مقاصد إما بهدف التشكيك في القرآن الكريم وإضلال الناس، وإما لاعتناقهم مذاهب فاسدة فيبحثون عن مخارج لها من القرآن، فإذا ضاقت عليهم الآيات المحكمات البينات عمدوا إلى الآيات المتشابهة وفسروها بما يتوافق مع أهوائهم ومقاصدهم الفاسدة)[(١)].

ولقد سلك الصحابة طرقًا متعددة مع متبعى الآيات المتشابهة، وذلك للخطر الجسيم الذى يمثله من يتبع المتشابه ويطلب تأويله، وأثره السيئ على الفهم الصحيح لكتاب الله ﷻ، وما يترتب على ذلك من انحراف من ضعف يقينه عن الحق، ووقوعه تحت طائلة التأويلات الباطلة، ومن هذه السبل[(٢)]:

١) التشنيع على متبعي المتشابه وزجرهم، وبيان قبح مسلكهم، وقد يصل الأمر إلى معاقبتهم، ومن الأدلة على هذا السبيل:

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٥/ ٢٢، وقال صاحب كتاب المبانى: القرآن كله محكم من جهة النظم والإعجاز، كما قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾ [هود /١] وكله متشابه من تشابه ألفاظه بعضها ببعض، وذلك قوله تعالى: ﴿كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ [الزمر /٢٣]، وبعضه محكم من جهة احتماله وجهًا واحداً، وبعضه متشابه من احتماله وجوها كثيرة لا يقطع على واحد منها قاطع، وذلك قوله تعالى: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران /٧] [انظر: مقدمتان في علوم القرآن صـ١٧٦].

(٢) انظر في ذلك: تفسير الصحابة، د / أبو السعود بدر صـ٤٣، ونقد الصحابة والتابعين للتفسير، د / عبد السلام الجار الله صـ٣٣٩.

أ) تأديب عمر ﷺ لصبيغ، وجاء في بعض الروايات أنه كان يسأل عن متشابه القرآن، وسياق القصة يدل على أنه كان معروفاً بهذا الأمر، ففي بعض الروايات أنه قيل لعمر: ((يا أمير المؤمنين، إنا لقينا رجلاً يسأل عن تأويل القرآن، فقال: اللهم أمكني منه، فبينما عمر رضى الله عنه ذات يوم يغدي الناس، إذ جاءه رجل عليه ثياب وعمامة يتغدى، حتى إذا فرغ قال: يا أمير المؤمنين ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا. فَالْحَامِلاتِ وِقْرًا﴾ [الذاريات /١، ٢] فقال عمر رضى الله عنه: أنت هو!)[١]. ثم ضربه وحبسه، وأمر المسلمين بهجره.

وقد بين ابن تيمية وجه كون الآيات التي سأل عنها صبيغ من المتشابه، فقال: "والذاريات، والحاملات، والجاريات، والمقسمات" فيها اشتباه، لأن اللفظ يحتمل الرياح والسحاب والنجوم والملائكة، ويحتمل غير ذلك، إذ ليس في اللفظ ذكر الموصوف والتأويل الذي لا يعلمه إلا الله هو أعيان السحاب وما تحمله من الأمطار ومتى ينزل المطر؟ وكذلك في الجاريات والمقسمات، فهذا لا يعلمه إلا الله)[٢].

ب) قول معاذ بن جبل ﷺ: ((يقرأ القرآن رجلان، فرجل له فيه هوى ونية، يفليه فلي الرأس يلتمس أن يجد فيه أمراً يخرج به على الناس أولئك شرار أمتهم، أولئك يعمي الله عليهم سبل الهدى، ورجل يقرؤه ليس فيه هوى ولا نية، يفليه فلي الرأس فما تبين له منه عمل به، وما اشتبه عليه وكله إلى الله، ليتفقهن فيه فقهاً ما فقهه قوم قط، حتى لو أن أحدهم مكث عشرين سنة، فليبعثن الله له من يبين له الآية التي أشكلت عليه، أو يفهمه إياها من قبل نفسه))[٣].

---

(١) أخرج هذه الرواية الآجري في الشريعة صـ٧٨، والدارمي في السنن ١ / ٥٩ .

(٢) انظر: مجموع الفتاوى ١٣ / ٣١٢ .

(٣) المصدر السابق ١٧ / ٣٩٤ .

٢) بيان أن تتبع المتشابه وطلب تأويله منهج للمبتدعة في فهم النص والاستدلال به، وهو سبب لضلالهم، وهذا سبيل له أثر مهم في نفور الناس عن سلوك هذا السبيل ومن الأدلة عليه:

أ) عن ابن عباس أنه ذكر له الخوارج وما يصيبهم عند قراءة القرآن، فقال: ((يؤمنون عند محكمه ويهلكون عند متشابهه))[١].

ب) وحين رأى أبو أمامة رضى الله عنه رؤوس قتلى الخوارج قال: ((كلابُ النار، كلابُ النار، كلابُ النار، شر قتلى تحت ظل السماء، شر قتلى تحت ظل السماء، ثم بكى، فقال له أبو غالب: يا أبا أمامة ما شأنى أراك تبكى؟! ، قال: أرحمهم أنهم كانوا مسلمين، قلت: بم؟ ، قال: يا أبا غالب أتقرأ سورة آل عمران؟ ، قلت: نعم، قال: اقرأ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران/٧] فهم هؤلاء يا أبا غالب، ثم قرأ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران/١٠٦] هم هؤلاء يا أبا غالب، فقلت: يا أبا أمامة أشيء سمعته من رسول الله ﷺ؟ أو شيء بلغك عنه، قال: بل سمعته من رسول الله ﷺ لا مرةٍ ولا اثنتين، ولا ثلاثًا، ولا أربعًا، ولا خمسًا، ولا ستًا، ولا سبعًا، إنى إذاً لجرىء، إنى إذاً لجرىء، إنى إذاً لجرىء))[٢].

٣) حث الأتباع على الإيمان بالمتشابه والتسليم به، والإمساك عن الكلام فيما يشتبه على المرء من نصوص الكتاب، وهذا الأسلوب كالذي قبله له أثر في كف الناس عن الانسياق خلف

---

(١) أخرجه ابن أبى شيبة في المصنف ٣١٣/١٥، وابن جرير في تفسيره ٥ /٢١٤ .

(٢) أخرجه عبد الرزاق في المصنف ١٥٢/١٠، وابن أبى حاتم في تفسيره ٥٩٥/٢، والطبرانى في المعجم الكبير ٨ / ٢٦٦، وذكره الهيثمى في مجمع الزوائد ٦ / ٢٣٤ وقال: رجاله ثقات .

المبتدعة وما يلقونه من شبه حول القرآن وتفسيره، وهي تربية أرشد إليها القرآن عندما ذكر حال الراسخين في العلم مع الآيات المتشابهة، وأنهم يقولون: ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ وإذا كان هذا هو حال الراسخين في العلم فمن دونهم من باب أولى . ومما جاء عن الصحابة في ذلك:

أ) قول معاذ ﷺ =: " أما القرآن فمنار كمنار الطريق، ولا يخفي على أحد، فما عرفتم منه فلا تسألوا عنه أحداً، وما شككتم فيه فكلوه إلى عالمه"(١).

ب) وعن أبي بن كعب ﷺ قال: " كتاب الله ما استبان منه فاعمل به، وما اشتبه عليك، فآمن به وَكِلْهُ إلى عالمه "(٢).

جـ) وقال عبد الله بن مسعود ﷺ: " إن للقرآن مناراً كمنار الطريق، فما عرفتم منه فتمسكوا به، وما تشابه عليكم فكلوه إلى عالمه "(٣).

٤) الاستعانة بالسنة في بيان المتشابه والرد على مثيريه، وهذا سبيل مهم في إفحام متبعى المتشابه عندما يتعلقون ببعض الآيات، فتأتى السنة كاشفة لشبهاتهم، فلا يجد المرء إلا التسليم: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل/٤٤]، ولأهمية السنة في كشف متشابهات الكتاب العزيز أوصى بها الصحابة في التصدى لأهل الضلال، ومن شواهده:

أ) قول عمر بن الخطاب ﷺ: "إنه سيأتيكم ناس يجادلونكم بشبهات (متشابه) القرآن،

---

(١) انظر: المصنف لابن أبى شيبة ١٠ / ٤٨٩، وجامع بيان العلم ٢ / ١١١ .

(٢) انظر: المصنف لابن أبى شيبة ١٠ / ٤٨٩ .

(٣) انظر: فضائل القرآن لأبى عبيد ١ / ٢٧٨، والمصنف لابن أبى شيبة ١٠ / ٤٨٩ .

فخذوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله"[١].

ب) وأوصى الزبير بن العوام ﷺ ابنه فقال: «لا تجادل الناس بالقرآن، فإنك لا تستطيعهم، ولكن عليك بالسنة»[٢].

٥) القيام بتفسير المتشابه، والجمع بينه وبين الآيات التي يظن معارضتها له، وقد نبه ابن تيمية إلى أن الصحابة قاموا بتفسير المتشابه، وقرر ذلك من وجهين:

الأول: ما جاء عنهم أنهم فسروا القرآن كله، يقول: "ما في القرآن آية إلا وقد تكلم الصحابة والتابعون لهم بإحسان في معناها"، وذكر بعض الشواهد على ذلك"[٣].

الثاني: ما نقل عن بعضهم أنه فسر الآيات المتشابهة كأبى بن كعب وابن عباس[٤]. وينبغى تنزيل كلامه على أنهم فسروا المتشابه الذى يمكن لبعض الناس معرفته .

وهناك دواعٍ اقتضت قيام الصحابة بتفسير المتشابه الذى ذموا طلب تأويله، ويمكن حصرها في أمرين:

الأول: الرد على مغرض يسعى لإحراجهم بإثارة المتشابه وطلب تأويله، أو يسعى لضرب القرآن بعضه ببعض، وقد يكون لكلامه تأثير في السامعين، ومثل هذا ينبغى الرد عليه لئلا يتسبب في ضلال أحد، ومن شواهده:

أ) أن نفراً من أهل نجران -في بعض الروايات أنهم يهود - قالوا لعمر رضى الله عنه وعنده

---

(١) أخرجه الدارمي في سننه ١ / ٥٣، والآجري في الشريعة صـ٥٣، ٨٠، وابن عبد البر في جامع بيان العلم ٢ / ١٢٣، واللالكائى في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١ / ١٢٣ .

(٢) انظر: الفقيه والمتفقه ١ / ٥٦١ .

(٣) انظر: مجموع الفتاوى ١٧ / ٣٩٥ – ٤٠٢ .

(٤) المصدر السابق ١٧ / ٤٠٧ – ٤٠٩ .

أصحابه: ((أرأيت قوله: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ﴾ [آل عمران/ ١٣٣] فأين النار؟ فأحجم الناس، فقال عمر: أرأيتم إذا جاء الليل أين يكون النهار؟ وإذا جاء النهار أين يكون الليل؟ ، فقالوا: لقد نزعت مثلها من التوراة)) .

ب) ووقع لابن عباس مثل ذلك، فأجاب بجواب عمر(١).

جـ) عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: (قَالَ رَجُلٌ لابْنِ عَبَّاسٍ: إِنِّي أَجِدُ فِي الْقُرْآنِ أَشْيَاءَ تَخْتَلِفُ عَلَيَّ؟ قَالَ: ﴿فَلا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون/١٠١]، ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الصافات/٢٧]، ﴿وَلا يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثًا﴾ [النساء/٤٢]، ﴿وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام /٢٣]، فَقَدْ كَتَمُوا فِي هَذِهِ الآيَةِ؟ ، وَقَالَ: ﴿أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿دَحَاهَا﴾ [النازعات ٢٧ - ٣٠]، فَذَكَرَ خَلْقَ السَّمَاءِ قَبْلَ خَلْقِ الأَرْضِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿طَائِعِينَ﴾ [فصلت/ ٩ - ١١]، فَذَكَرَ فِي هَذِهِ خَلْقَ الأَرْضِ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَاءِ؟ ، وَقَالَ: ﴿وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء /٩٦]، ﴿عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء/٥٦]، ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء/ ٥٨]، فَكَأَنَّهُ كَانَ ثُمَّ مَضَى؟ ، فَقَالَ ابن عباس: ﴿فَلا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ فِي النَّفْخَةِ الأُولَى، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ﴿فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلا مَنْ شَاءَ اللهُ﴾ [الزمر/٦٨]، فَلا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ وَلا يَتَسَاءَلُونَ، ثُمَّ فِي النَّفْخَةِ الآخِرَةِ: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾، وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، ﴿وَلا يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثًا﴾ فَإِنَّ اللهَ يَغْفِرُ لأَهْلِ الإِخْلاصِ ذُنُوبَهُمْ، وَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: تَعَالَوْا نَقُولُ: لَمْ نَكُنْ مُشْرِكِينَ، فَخُتِمَ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ فَتَنْطِقُ أَيْدِيهِمْ، فَعِنْدَ ذَلِكَ عُرِفَ أَنَّ اللهَ لا يُكْتَمُ حَدِيثًا، وَعِنْدَهُ ﴿يومئذ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآيَةَ [النساء/٤٢]، وَخَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ، ثُمَّ خَلَقَ

(١) أخرج الأثرين ابن جرير في جامع البيان ٤ / ٩٢ .

السَّمَاءَ، ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ، فَسَوَّاهُنَّ فِي يَوْمَيْنِ آخَرَيْنِ، ثُمَّ دَحَا الأَرْضَ وَدَحْوُهَا أَنْ أَخْرَجَ مِنْهَا الْمَاءَ وَالْمَرْعَى، وَخَلَقَ الْجِبَالَ وَالْجِمَالَ وَالآكَامَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي يَوْمَيْنِ آخَرَيْنِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿دَحَاهَا﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾، فَجُعِلَتْ الأَرْضُ وَمَا فِيهَا مِنْ شَيْءٍ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ، وَخُلِقَتْ السَّمَوَاتُ فِي يَوْمَيْنِ، ﴿وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾، سَمَّى نَفْسَهُ ذَلِكَ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ، أَيْ: لَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ، فَإِنَّ اللهَ لَمْ يُرِدْ شَيْئًا إِلا أَصَابَ بِهِ الَّذِي أَرَادَ، فَلا يَخْتَلِفْ عَلَيْكَ الْقُرْآنُ، فَإِنَّ كُلاً مِنْ عِنْدِ اللهِ))[1].

قال ابن حجر: (وحاصل ما وقع عنه السؤال أربعة مواضع:

الأول: نفي المساءلة يوم القيامة وإثباتها .

الثاني: كتمان المشركين حالهم وإفشاؤه .

الثالث: خلق السماوات والأرض أيهما تقدم .

الرابع: الإتيان بحرف " كان " الدال على الماضي مع أن الصفة لازمة.

وحاصل جواب ابن عباس عن الأول أن نفي المساءلة فيما قبل النفخة الثانية وإثباتها فيما بعد ذلك، وعن الثاني أنهم يكتمون بألسنتهم فتنطق أيديهم وجوارحهم، وعن الثالث أنه بدأ خلق الأرض في يومين غير مدحوة، ثم خلق السماء فسواها في يومين، ثم دحا الأرض بعد ذلك، وجعل فيها الرواسي وغيرها في يومين، فتلك أربعة أيام للأرض، وعن الرابع بأن " كان " وإن كانت للماضي، لكنها لا تستلزم الانقطاع، بل المراد أنه لم يزل كذلك)[2].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب تفسير سورة حم السجدة ٨ / ٥٥٥ .

(٢) انظر: فتح الباري ٨ / ٥٥٨ .

الثاني: أن يسأل شخص عن المتشابه طالبًا تأويله، فيجاب عن سؤاله، لما احتف به من القرائن الدالة على سلامة هدفه، كأن يظهر منه رغبة في التعلم ومعرفة مراد الله من كلامه، أو يكون مراده المحافظة على قدسية القرآن الكريم وسلامته من الاختلاف لكونه سمع شبهة حول بعض الآيات، فلجأ إلى العلماء لكشفها، وكان الصحابة يجيبون مثل هذا السائل برفق من غير تعنيف، لكونهم علموا رغبته في معرفة الحق، وبيان المتشابه والحالة هذه من تمام التدبر لكتاب الله.

ومن شواهده: ما ثبت عن ابن عباس أنه قال له رجل: (إنه قد وقع في قلبي الشك من قوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة/ ١٨]، وقوله: ﴿إِنَّا أَنزلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ [الدخان/ ٣]، وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر/١]، وقد أنزل الله في شوّال وذي القعدة وغيره! ، قال: إنما أنزل في رمضان في ليلة القدر وليلة مباركة جملة واحدةً، ثم أنزل على مَواقع النجوم رسلاً في الشهور والأيام))[(١)].

ومما سبق ندرك أن الصحابة لم يتوقفوا عن الكلام في المتشابه بالجملة، وإنما تكلموا في المتشابه الذى يتفاوت الناس في معرفته وإدراكه، وقد قال ابن عباس عند قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾: ((أنا ممن يعلم تأويله))[(٢)].

وبهذا المبحث أكون قد أتيت على ما تيسر لى جمعه حول موقف الصحابة من الإسرائيليات والقصاص وتفسير متشابه القرآن، وقبل أن أضع التسيار أنتقل إلى ذكر مركز لخلاصة البحث، وحصاد الذهاب والإياب في خاتمة المطاف – أسأل الله – حسنها، فانظرها في الصفحات التالية:

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم في تفسيره ٣١٠/١، ٢٦٨٩/٨، والبيهقي في الأسماء والصفات ٣٦٩/١ .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٣ / ١٨٣ .

الخاتمة

هذا، ولا أدعى في هذا البحث الاستيعاب لكل ما يتعلق بموقف الصحابة من الإسرائيليات والقصاص وتفسير متشابه القرآن الكريم، إذ لم يكن من خطة هذه الدراسة أن تستوعب كل ما يتعلق بهذا الموضوع من شاذة وفاذة، وإنما صورة الأمر كما قيل: "يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق".

ولقد كان أهم ما هدفت إليه هذه الدراسة أن تبرز بمجموعها النقاط التالية:

١) الصحابي هو: من لقى النبي ﷺ مؤمنًا ومات على الإسلام، ومن ثبتت له صحبة النبي ﷺ فقد ثبتت عدالته وثقته، وليس بحاجة إلى تعديل أحد .

٢) أكثر ما روى عنه التفسير من الصحابة ابن عباس، ويليه ابن مسعود، ثم على، ثم أبى، ثم بقية العشرة المشهورين بالتفسير.

٣) نشط الصحابة لتفسير القرآن، بعد اتساع رقعة الإسلام، ودخول الناس في دين الله أفواجًا، يحملون معهم ثقافاتهم، وهم أحد رجلين إما داخل في الإسلام مخلص له يسأل من أجل العلم والعمل، وإما صاحب نية خبيثة يثير الشبهات، وعلى كل فلابد من الإجابة على ما يطرح من أسئلة وشبهات. وبجوار هؤلاء جيل من التابعين كانوا أكثر تطلعًا لفهم ما يشكل عليهم من القرآن، ولم يكن أمامهم سوى الصحابة يعلقون آمالهم عليهم. كما أن الأحداث العنيفة والفرق التي ظهرت نواتها في عهد الصحابة، شغلت المسلمين وأوجدت عند كل فريق منهم رغبة في التماس الحجة له من القرآن، وهنا لابد من سد هذه الثغرات، وإزالة الشبهات، وليس هذا إلا للصحابة، ولذلك جدوا في تفسير القرآن تفسيراً صحيحًا.

٤) كان الصحابة في رجوعهم إلى أهل الكتاب يسيرون على المنهج القويم الذى رسمه لهم رسولهم ﷺ فلم يكن سؤالهم لمن أسلم منهم عن كل شيء، ولم يكونوا يصدقونهم في كل شيء، بل كانوا يسألون عن أشياء لا تعدو أن تكون بيانًا لما أجمل في قصة من قصص القرآن، فإن ألقوا

إليهم بشيء تفرسوه في روية، فما كان وفق شرعنا صدقوه، وما كان على خلافه كذبوه، وما كان مسكوتًا عنه توقفوا فيه، كذلك لم يسألهم الصحابة عن شيء يتعلق بالعقيدة أو الأحكام، كما أنهم لم يسألوا عن الأشياء التي يشبه أن يكون السؤال عنها نوعًا من العبث.

٥) اشتد إنكار الصحابة على القصاص الذين ضعف التأصيل العلمي عندهم، حيث لم يأخذوا بالعلوم التي لابد منها، أنكروا عليهم بالقول، ومنعوهم من المساجد، وتركوا الجلوس إليهم، وما ذلك إلا لاشتمال مجالسهم على بعض البدع، أما القصص بمعناه العام حين ينضبط بضوابطه ويبتعد عن المحاذير الشرعية، فلا وجه للقول بمنعه، بل قام به بعض الصحابة.

٦) لقد سلك الصحابة مسالك شتى مع متبعي الآيات المتشابهة، وذلك للخطر الجسيم المترتب على اتباع المتشابه، فشنعوا على متبعي المتشابه، وزجروهم، وبينوا قبح مسلكهم، بل أحيانًا وصل الحال إلى العقاب، كما أنهم حثوا أتباعهم على الإيمان بالمتشابه، والإمساك عن الكلام فيه، ثم إنهم قاموا بتفسير الآيات المتشابهة، وجمعوا بينها وبين الآيات التي يتوهم معارضتها لها، ولكن ينبغي أن يعلم أنهم تكلموا في الآيات المتشابهة التي يتفاوت الناس في إدراكها، أما المتشابه الذى استأثر الله بعلمه فلم يتكلموا فيه، إذ ليس لهم الحق في تفسيره .

وبعد، فتلك أهم المسائل التي حاولت هذه الدراسة إبرازها، والله تعالى أسأل أن يوفقني فيما قصدت، وأن يسبغ عليّ فضله وإحسانه فيما أحسنت، ويغمرني بعفوه وغفرانه فيما أسأت وزللت.

والحمد لله رب العالمين، له الحمد في الأولى والآخرة، وله الحكم وإليه ترجعون، سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك .

****

فهرس أهم المصادر والمراجع

١) الإتقان في علوم القرآن، للحافظ/ جلال الدين السيوطي، ت ٩١١هـ، تحقيق/ أبو الفضل إبراهيم، ط/ المشهد الحسيني، ط١/ ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م .

٢) اختصار علوم الحديث، لابن كثير، وبهامشه: الباعث الحثيث، لأحمد شاكر، مطبعة محمد صبيح بالقاهرة، ط ٣/ ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م .

٣) أسباب اختلاف المفسرين، د/ الشايع، مكتبة العبيكان، ط١/ ١٤١٦ هـ.

٤) الإصابة في تمييز الصحابة، للحافظ ابن حجر العسقلاني، مكتبة الكليات الأزهرية ط ١/ ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م

٥) التحبير في الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير، د/ أحمد سلامة ١٤٢٧ هـ.

٦) تفسير القرآن العظيم، للحافظ/ أبى الفداء إسماعيل بن كثير، مكتبة التراث الإسلامي ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .

٧) تفسير الصحابة، د/ عبد الله بدر، دار ابن حزم، ط١/ ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م

٨) تفسير الصحابة، د/ محمد عبد الرحيم، مكتبة التراث الإسلامي.

٩) التفسير والمفسرون، للدكتور/ الذهبي، مكتبة وهبة، ط ٥/ ١٤١٣ هـ.

١٠) جامع البيان عن تأويل آى القرآن، للطبري، دار الحديث، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م وقد رجعت لبعض الأجزاء من طبعة دار المعارف بالقاهرة، تحقيق/ أحمد شاكر .

١١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبى، دار الفكر ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م .

١٢) الحديث والمحدثون، د/ محمد أبو زهو، دار الكتاب العربى، بيروت ١٤٠٤ هـ.

١٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطى، دار الفكر، ط ١/ ١٤٠٤ هـ.

١٤) سنن الترمذى، مطبعة البابى الحلبى، ط ٣/ ١٣١٦هـ/ ١٩٧٦م .

١٥) سنن أبى داود، دار الكتب العلمية، ط ١/ ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٨م .

١٦) صحيح مسلم بشرح النووى، الدار الثقافية العربية، ط ١/ ١٣٤٧ هـ.

١٧) علم التفسير، كيف نشأ وتطور، د/ عبد المنعم النمر، دار الكتاب العربى، ط ١/ ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .

١٨) فتح البارى بشرح صحيح البخاري، للحافظ/ ابن حجر العسقلاني، دار الريان ط ٢/ ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م .

١٩) فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، للعراقى، دار الكتب السلفية، ط ٢/ ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

٢٠) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، جمع/ ابن قاسم

٢١) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، تحقيق/ محمود نصار، مكتبة التراث الإسلامى ١٩٨٨م .

٢٢) المسند للإمام أحمد بن حنبل، دار الفكر العربى .

٢٣) مذاهب التفسير الإسلامي، اجتنس جولد تسيهر، ترجمة د/ عبد الحليم النجار، دار اقرأ، بيروت، ط ٢/ ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣م .

٢٤) معرفة علوم الحديث للحاكم، تحقيق/ السيد حسين، القاهرة ١٩٣٧م .

٢٥) مناهل العرفان في علوم القرآن، للعلامة محمد عبد العظيم الزرقاني، دار إحياء الكتب العربية، ط٣/ ١٩٨٠م

٢٦) نقد الصحابة والتابعين للتفسير، د/ عبد السلام الجار الله، ١٤٢٧ هـ.

فهرس موضوعات البحث

ملخص البحث باللغة العربية:	٦٣٤
ملخص البحث باللغة الإنجليزية:	٦٣٦
المقدمة	٦٣٨
التمهيد	٦٤١
المسألة الأولى: تعريف الصحابي	٦٤١
المسألة الثانية: من اشتهر بالتفسير من الصحابة	٦٤٣
المسألة الثالثة: دوافع التفسير عند الصحابة	٦٤٥
المبحث الأول: موقف الصحابة من الإسرائيليات	٦٤٨
المبحث الثاني: موقف الصحابة من القصاص	٦٦٣
انتقاد القصاص في التفسير:	٦٦٦
المبحث الثالث: الصحابة وتفسير متشابه القرآن الكريم.	٦٧٠
الخاتمة	٦٧٨
فهرس أهم المصادر والمراجع	٦٨٠
فهرس موضوعات البحث	٦٨٢